

|  |
| --- |
|  |
| عرض حول: النظرية الأخلاقية والقيمية في الحضارة الإسلامية |
|  |
|  |
| مادة: علم الأخلاق والتصوف الإسلامي |
|  |
| الأستاذ المشرف: د. عبد الرحمــن العضراوي |
|  |
| من إعداد الطالبة: رشيدة مجلي |

ماستر العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية: تكامل المناهج والمعارف

بسم الله الرحمــن الرحيـم

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

[ سورة القلم، الآية: 4]

1. مقدمة:

القيم والأخلاق هي جوهر وأساس كل حضارة، وهي بمنزلة المعنى الروحي والمعنوي لها، والسبيل إلى بقائها ودوامها، وسر نجاتها من الأفول والزوال، وعلم الأخلاق مجال اشتغال الفلاسفة والعلماء منذ عصور ما قبل التاريخ، فهذا سقراط الذي يعتبر الأخلاق لُبَّ الفلسفة، فالأخلاق تشغل اهتمام الإنسان، وتستحوذ على تفكيره، ولا يُمكنه أن يستغني عنها بوصفها معيارًا للخير وللشر في حياته، فلا بد له من كابح لتصرفاته وشهواته، ومهما آل به الحال من التردي والبعد الأخلاقي، إلا أنه يحتاج بينه وبين نفسه إلى المحاسبة والسمو الروحي والقيمي، فيعود إلى الفطرة رغما عنه، يقول الحق سبحانه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: 30].

وهو "أول علم تأسس منذ بدأ الخليقة ونطقت به ألسنة الملائكة، وفي الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30]؛ أي: أتجعل فيها من تكون هذه بعض أخلاقهم، دليل على إيجاده مقترنًا بالأنفس البشرية، لازمًا لها، وقانونًا يعصمها عن انتجاع خطة الشرور، وانتهاج مسالك الفساد"[[1]](#footnote-1).

والأخلاق والقيم حثت عليها كل الديانات، سواء السماوية منها أو الوضعية، لكن في عـصرنا الحالي تسود موجات صاخبة من التشكيك في القضية الأخلاقية، خاصة بعد ظهور النظريات العقلانية المتناقضة، والثورات العلمية الفاصلة بين العلم والأخلاق والقيم، القائلة بدعوى ألا أخلاق في العلم ولا في التقنية، ويدعو مناصرو هذه الدعوى إلى أخلاقية بلا إلزام ولا جزاء، والواقع "أنه إذا لم يعد هناك إلزام، فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت، فلا يمكن أن تعود العدالة، وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية، لا في مجال الواقع فحسب، بل في مجال القانون أيضًا، وطبقًا لما يسمى بالمبدأ الأخلاقي"[[2]](#footnote-2)؛ أي: إن "كل الأفعال التعبدية التي دعا الدين الإنسان إليها من أجل تحصيل سعادته الأخروية، فضلًا عن منافعه الدنيوية؛ ذلك لأن سعادة الإنسان عند أصحاب هذه الدعوى ليست رهينة باليوم الآخر، وإنما منوطة بالحياة الدنيا وحدها، ما دام التقدم العلمي التقني - في نظرهم - قادرًا على أن يرفع عن الإنسان أسباب الجوع والمرض والمشقة، وأن يمده بأسباب رغد العيش ومتعة العمل، ونعمة الأمن"[[3]](#footnote-3)، فلا مجال للفصل بين سعادتي الدنيا والآخرة، من خلال شمولية مكارم الأخلاق في السعي لتنظيم حياة الإنسان في الدارين، "والشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق، ولهذا قال عليه السلام: (بُعثت لأُتَمِّم صالح الأخلاق)[[4]](#footnote-4)، إلا أن مكارم الأخلاق إنما كانت على ضربين: أحدهما، ما كان مألوفًا وقريبًا من المعقول المقبول، كانوا في ابتداء الإسلام إنما خوطبوا به، ثم لَما رسخوا فيه تَمَّم لهم ما بقِي، وهو الضرب الثاني، وكان منه ما لا يُعقل معناه من أول وهلة فأُخِّر، حتى كان من آخره تحريم الربا وما أشبه ذلك، وجميع ذلك راجع إلى مكارم الأخلاق"[[5]](#footnote-5).

والحضارة الإسلامية حظيت بالنصيب الأكبر من حصة الأخلاق والقيم الكونية، وما ذاك بغريب، كونها موهوبة بدستور أخلاقي قيمي شمولي وعالمي، إنه دستور الحياة بلا منازع، طبعًا إذا اعتُبِرَ منهجًا للاقتداء؛ حيث يُتَّخَذ "من القرآن ذاته نقطة انطلاق"[[6]](#footnote-6)، كونه موجهًا إلى النفس بكاملها روحًا وعقلًا؛ يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 9][[7]](#footnote-7)، فالمبدأ الأخلاقي يعتبر من بين قواعد الفكر المقاصدي المصلحي، المتعلق" بما رسمته الشريعة للفرد المسلم والمجتمع المسلم من نظم ضابطة لتصرفات الناس في معاملاتهم، عمادها مكارم الأخلاق التي لا تنفصل مطلقًا عن الصلاح، باعتباره أصلًا يكون به الإنسان إنسانًا عاقلًا جامعًا لضروريات نجاح فعل الاستخلاف في الأرض، ومدركًا لمعاني الحياة، ومقاصد وجود الإنسان فيها"[[8]](#footnote-8)، كما أن الإسلام دعا "إلى السعادة في الدارين، وإلى إقامة مجتمع فاضل مشترك في السراء والضراء، متعاون على البر والتقوى، آمر بالمعروف ناه عن المنكر"[[9]](#footnote-9).

من خلال هذا الاستهلال نحاول طرح بعض الإشكالات حول مفاهيم الأخلاق والقيم التي اعتبرت مجال التنظير والدراسات والكتابات الإسلامية والغربية، وتحديدًا في علاقتها بالدين والفلسفة، وحول أهمية الأخلاق والقيم في تفعيل أمانة الاستخلاف والعمران الحضاري، وحول إمكانية إيصال تجليات المنهج القرآني في السعادة البشرية، من خلال مكنوناته الخلقية والاجتماعية والنفسية والكونية التي هي مسؤولية المسلمين بالدرجة الأولى قبل غيرهم، أمام الخالق وأمام المخلوق، ومحاولة بسط بعض مظاهر الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية في بعض المعاملات الجماعية أو الفردية، وكيف يمكن للمجتمعات الغربية والإسلامية من السير في مسار التقدم العلمي والتقني دون الانسلاخ عن الأخلاق والقيم؟ ودون إلحاق الضرر بالنفس والغير والكون والإنسان؟ وكيف يمكن قلب الحال من أزمة أخلاقية عالمية مهلكة إلى بلورة حلول بديلة من خلال التنظير لعُمد أخلاقية قرآنية مُنجية؟

استدعت ظروف وحيثيات إنجاز هذا العرض تفصيله إلى مقدمة، وفصلين وأربعة مباحث، وثمانية مطالب، ثم خاتمة.

بعد مقدمة أجملت فيها رؤيتي حول الموضوع المختار للاشتغتال عليه، تناولت في الفصل الأول الحديث عن علاقة الفلسفة بالدين عمومًا، وعن علاقة العقل والنقل، تفرع عنه مبحثان بأربعة مطالب، المبحث الأول، خصصته لدراسة إفهامية للأخلاق والقيم، تفرع عنه مطلبان: الأول خاص بالتعريفات اللغوية والاصطلاحية والفلسفية لمفاهيم الأخلاق والقيم، والمطلب الثاني خصصته للتعريف بموضوع علم الأخلاق، فائدته، مهمته، مناهجه، أقسامه العملية والنظرية، ومعايير العمل الأخلاقي من الرؤية القرآنية، وبخصوص المبحث الثاني من الفصل الأول المعنون بفلسفة القيم النشأة والتطور، تناولت في مطلبه الأول مراحل تطور فلسفة القيم، مع درج دلالة القيمة ومغزاها وطبيعة وتصنيف القيم، ثم في المطلب الثاني وضحت بعض خصائص القيم الخلقية، مع بيان درجات الخير الأقصى وخصائصه، ثم عرجت إلى الفصل الثاني الخاص بالأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، كذلك حظي هذا الفصل بتفصيله إلى مبحثين وأربعة مطالب: المبحث الأول خصصته للحديث عن القيم والأخلاق قبيل الحضارة الإسلامية من خلال مطلبين: الأول اهتم بالأخلاق في العصر الجاهلي، من خلال قيمتين خلقيتين هما الفضيلة والعفة، والثاني كان موضوعه عن الأخلاق في العصر الإسلامي، مع ذكر ميادين الفلسفة في الأمة الإسلامية، وتحديد عُمُد النظرية الأخلاقية المعرفية القرآنية، أما بخصوص المبحث الثاني من الفصل الثاني، فقد جعلته سؤالًا حول النظرية الأخلاقية الإسلامية وأبجديات التأسيس، كذلك تفرع عنه مطلبان، الأول ذكَرت فيه مسلمتي النظرية الأخلاقية، من خلال الصفة الأخلاقية للإنسان والصفة الدينية للأخلاق، والمطلب الثاني أبرزت فيه بعض الموانع المعرفية لوجود فلسفة أخلاقية إسلامية متميزة من خلال سرد ثلاثة موانع ذات أهمية بالغة، ثم ختمت بخاتمة طرحت فيها الشكل النهائي لهذا العرض الوجيز.

1. الفصل الأول: نظرية الأخلاق بين الدين والفلسفة:

الحديث عن علم الأخلاق من المنظور الفلسفي، منوط بمعرفة الخيط الرابط بينه وبين علم الأخلاق الديني، وهو تخويل الإنسان مُثُلًا عليا، متجلية في مبادئ خلقية وقيم سامية، يهتدي بها ويرقى إلى بلوغها، فقط يكون منهج كل من العلمين مختلفين، "فنقطة انطلاق الباحث في الأخلاق الفلسفية تختلف عن نقطة الانطلاق عند الباحث في الأخلاق الدينية؛ أي: إن الطريق الذي يسلكه كل منهما - للوصول إلى الهدف الواحد - مختلف"[[10]](#footnote-10)، فعلم الأخلاق الديني مصدره الوحي، ولا يُحتاج فيه إلى البحث العلمي وإعمال العقل في قضايا الخير والشر والفضيلة والرذيلة؛ لأن المؤمن بما جاء به الدين ملزم بالامتثال للمبادئ الخلقية بغية نيل الفضيلة، في حين أن علم الأخلاق الفلسفي أساسه العقل، ويتوصل به إلى تحليل الوقائع الخلقية، ومن ثم التأسيس لها بآليات فلسفية في قضايا الخير والشر، وفي بلورة النظريات الرابطة بين المبادئ الخلقية والسعادة، وهنا يتفق المساران، كونهما لا يختلفان حول المبادئ الخلقية المتأصلة بالدين، لكن الفرق هو أن علم الأخلاق الفلسفي لا يجعل تلك المبادئ موضع دراسته، وبالتالي لا تعارض بين الدين والفلسفة، ولا تعارض بين العقل والوحي، فالعقل باعتباره أداة للفلسفة هو من عند الله، وهو الوسيلة لفهم وإدراك ما جاء به الوحي الذي هو من عند الله، فلا تعارض بل هو تكامل معرفي متلازم، فتكون "أسباب الأخلاق موصولة بأسباب الدين، حتى إنه لا حدود بيِّنة مرسومة بينهما وها هنا حقيقة، نرى الفلاسفة فيها بين مُقر بها ومنكر لها، ومتردد فيها، لا لشيء إلا لكون حقيقة الدين أعجزت العقول، فافترق الناس فيها بين مؤمن بها وجاحد لها وشاك فيها"[[11]](#footnote-11)، وعليه يكون الوحي والعقل "ليسا سوى ضوء هادٍ، مزدوج، لموضوع واحد، وترجمة مزدوجة، لواقع واحد أصيل، تمتد جذوره في أعماق الأشياء"[[12]](#footnote-12).

1. المبحث الأول: مفهوم علم الأخلاق والقيم:
2. المطلب الأول: دراسة إفهاممية:
   * 1. الأخلاق: لغةً، اصطلاحًا، فلسفيًّا.

* الأخلاق لغة: Ethics، خلق، الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، رجل مُخْتَلَقٌ: تام الخلق، ومن ذلك الخُلُق، وهي السجية[[13]](#footnote-13).
* الأخلاق اصطلاحًا: الخُلُق: السجية والطبع والمروءة والدين[[14]](#footnote-14).
* نظرية الإمام أبي إسحاق الشاطبي في الأخلاق: "والشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق، ولهذا قال عليه السلام: (بُعثت لأُتَمِّم مكارم الأخلاق)، إلا أن مكارم الأخلاق إنما كانت على ضربين: أحدهما، ما كان مألوفًا وقريبًا من المعقول المقبول، كانوا في ابتداء الإسلام إنما خوطبوا به، ثم لَما رسخوا فيه تَمَّم لهم ما بقي، وهو الضرب الثاني، وكان منه ما لا يُعقل معناه من أول وهلة فأُخِّر، حتى كان من آخره تحريم الربا وما أشبه ذلك، وجميع ذلك راجع إلى مكارم الأخلاق"[[15]](#footnote-15).
* نظرية الإمام أبي حامد الغزالي: الخُلُق والخَلْقُ عبارتان مستعملتان معًا، فلان حسن الخُلُق والخَلْق؛ أي: حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، وبالخُلُق الصورة الباطنة، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة؛ إما قبيحة وإما جميلة، والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظَّم الله أمره بإضافته إليه؛ إذ قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص: 71، 72].

فالخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا، سُميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ.

فها هنا أربعة أمور:

* + فعل الجميل والقبيح.
  + القدرة عليهما.
  + المعرفة بهما.
  + هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين؛ إما الحسن وإما القبيح[[16]](#footnote-16).
* نظرية ابن مسكويه في علم الأخلاق: علم بأصول يُعرف به حال النفس؛ من حيث ماهيتُها وطبيعتها وعلوُّ وجودها، وفائدتها، وما وظيفتها التي تؤديها، وما الفائدة من وجودها، وعن سجاياها وأميالها، وما ينقلها بسبب التعاليم عن الحالة الفطرية، وهو علم تأسس منذ بدأ الخليقة.
* الأخلاق فلسفيًّا:
* رؤية الفيلسوف عبدالرحمن بن خلدون للأخلاق: "إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد؛ لأن الإنسان إنما هو إنسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضاره، واستقامة خلقه لذلك... وإذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه، فقد فسدت إنسانيته، وصار مسخًا على الحقيقة"[[17]](#footnote-17).
* نظرية د. طه عبد الرحمن: "والصواب أن الأخلاقية هي ما به يكون الإنسان إنسانًا... ينبغي أن تتجلى الأخلاقية في كل فعل من الأفعال التي يأتيها الإنسان، مهما كان متغلغلًا في التجريد، بل تكون هذه الأفعال متساوية في نسبتها إلى هذه الأخلاقية، حتى إنه لا فرق بين فعل تأملي مجرد وفعل سلوكي مجسد"[[18]](#footnote-18).

وكما هو مسلم به "منذ زمن بعيد أن الأخلاق هي مجرد أفعال محدودة من أفعال الإنسان، وأنها لا تدخل في تحديد ماهيته، أو باصطلاح المعاصرين هويته، بقدر ما تدخل في تحديد جانب من سلوكه، وهذا باطل كليًّا، وبيان بُطلانه أنه ما من فعل من أفعال الإنسان إلا ويقترن إما بقيمة خلقية عليا ترفع هذا الفعل درجة، فتزداد إنسانية صاحبه، أو بقيمة خلقية دنيا تخفض هذا الفعل درجة، فتنقص إنسانية صاحبه، وهذا يصح حتى ولو كان هذا الفعل مجرد فعل ذهني، لا فعلًا عينيًّا، فقد يريد الإنسان بهذا الفعل الذهني جلب خير أو دفع شر، فيرتقي به إلى أعلى أو يريد به جلب شر أو دفع خير، فينحط به إلى أسفل، بحيث يكون الحد الفاصل بين الإنسان والبهيمة ليس هو، كما رسخ في الأذهان، قوة العقل، وإنما هو قوة الخلق، فلا إنسان بغير خلق، وقد يكون العقل ولا خلق معه، لا حسنًا ولا قبيحًا، وهو حال البهيمة ولو قل نصيبهما من العقل عن نصيب الإنسان منه"[[19]](#footnote-19).

* نظرية د. عبد الرحمن العضراوي حول الأخلاق: إن مكارم الأخلاق" الفردية أو الجماعية، باعتبارها أصلًا فطريًّا ومكتسبًا من رسالات الأنبياء والاجتهاد العقلي، تصبح معه الحياة الإنسانية ذات غاية ومعنى، بحيث يحشد الذات الإنسانية نحو الفعل الجاد المنتج المضاد للعبثية، لكن الإسلام الذي جاء متممًا لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وصالحها، ومحفوظًا بها، وناظمًا لها في عقد فريد متناسب الحلقات، مضبوط التركيب والتوازن والتكامل، قادر على إضفاء جمال أخلاق القرآن على الإنسان، وتحقيق الإنسان القرآني المتمكن من حمل أمانة الاستخلاف، قد ربط مركب الأخلاق بالعقيدة والعبادة، من حيث تنميتها له بالعلم والحب والعزم، تنمية تؤسس على مقتضى الشرع ومقاصده، فتكون الأخلاق الحسنة قوة محركة نحو مصالح دنيوية عاجلة وأخروية آجلة، ومتعلقة بالإيمان بالجزاء من الثواب والعقاب، قوة مرتبة وناظمة لوظيفة العقل ودوره في تحقيق الانفعال بالإسلام والاجتهاد في تنزيل أخلاق القرآن، وقيمه العظيمة على الواقع وتقويم سلوك الناس به...[[20]](#footnote-20).
* الأخلاق من المنظور الأرسطي واليوناني: "هي التصورات الجوهرية للخير المنسجمة مع نظام الوجود؛ بحيث يكون السلوك الأخلاقي القويم هو التناسب مع التراتب الكوني، الفضيلة هي إذا تبوُّؤ المكانة الملائمة في الطبيعة، واستجابة كل كائن لطبيعته؛ أي: للخير الذي تتجه إليه غايته، والخير الأقصى هو السعادة والاكتمال، وهو أساس العدالة"[[21]](#footnote-21).
* نظرية أوغسطين: "إن التجربة لتدل على أن اللذة لا تسعدنا، فالحواس لا تقنع أبدًا بما تناله منها، ولكنها تطلب المزيد دائمًا وتتمرد على الحياة..."[[22]](#footnote-22).
* توما الأكويني: "لا تتناول الأخلاق سوى الأفعال الصادرة عن الإنسان بما هو إنسان، أي الصادرة عن الإرادة العامدة، وتلك الأفعال هي التي تسمى إنسانية بمعنى الكلمة، أما التي تصدر من غير روية وإرادة، فالأولى أن تسمى أفعال الإنسان... فحقيقة الفعل الإنساني أنه المتجه إلى غاية مدركة ومرادة، وهكذا تكون الغاية مبدأ الأفعال الإنسانية، ويلزم تعيين غاية الحياة"[[23]](#footnote-23).
  + - 1. القيم: لغةً، اصطلاحًا، فلسفيًّا:
* القيم لغة: خُلُقُكَ قَيِّمٌ؛ أي: مستقيم حسن، وفي الحديث ذلك الدين القيم؛ أي: المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق[[24]](#footnote-24)، ترجع فلسفة أو علم القيم (القيمة) أو نظرية القيم إلى كلمة أكسيوس Axios اليونانية، وتدل على ما هو "قيم" أو "ثمين" أو جديد، والإكسيولوجيا Axiology هو العلم الذي يبحث فيما هو قيم وثمين وجديد، وتكون الفلسفة المتصلة به فلسفة القيم Phylosophy of values أو نظرية القيم، أو القيمة[[25]](#footnote-25).
* اصطلاحًا: "كل ما له شأو في التصور وفي الفعل لدى أفراد وجماعات"[[26]](#footnote-26)، وكلمة شأو باللغة العربية، تعني 'الجدارة'، 'الكمال'، ' الوزن'، 'السعر'، 'القدرة'، و'الطاقة'[[27]](#footnote-27).

والقيمة مشتقة من القوام؛ أي: العدل وحسن الطول، وحسن القامة، وهي تعني في اللغة القدر، وقوَّم السلعة أي قدرها.

وفي القرآن الكريم: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ [البينة: 3]؛ أي: مستقيمة تبيِّن الحق من الباطل على استقراء وبرهان، وقوام كل شيء، ما استقام به، إن "الممارسة القيمية العربية تنطوي على طائفة من الدلالات المعنوية والمادية، فالقيمة هي العزم، والمحافظة، والإصلاح، والثبات، ورواج السوق، والاعتدال، والاستقامة، والعدل، وحسن الطول، وحسن القامة، والقيِّم أو حامل القيمة هو السيد، وسائس الأمر، أو هو بعل المرأة، والمسؤول عن شؤونها، والتقويم تحديد القيمة، وهو في المجال الاقتصادي تقدير قيمة السلعة أو ثمنها، والثمن قد يكون مساويًا للقيمة وقد يكون زائدًا عنها، وقد يكون ناقصًا عنها، فما يقدره العاقدان بكونه عوضًا للمبيع في عقد البيع يسمى ثمنًا، وما قدره أهل السوق وقرروه فيما بينهم وروجوه في معاملاتهم يسمى قيمة، والثمن إذا أطلق أريد به الدراهم والدنانير، والدينار القائم عند الصيارفة دينار ناقص؛ لأنه مثقال سواء لا يرجح، وإذا ما رجح صار ميالًا؛ أي: تمت قيمته"[[28]](#footnote-28).

* فلسفيًّا:
* نظرية د. عادل العوا حول مفهوم القيمة: "مفهوم القيمة مفهوم نشاط ذهني يتصور أمرًا ذا شأن ويسميه قيمة، وهذا التصور الفكري متصل أشد الاتصال بالفعل، وما الفعل الواعي إلا استبصار واختيار، ونحن ما إن نتخذ قرارًا بتفضيل إمكان على إمكان حتى يتم صنع الفكر؛ أي: صنع اختيار القيمة وتحديدها، فيصبح من شأن تاريخ حياة الفرد، ومن ثم حياة المجتمع أن يُعَرِّفَ هذا النشاط الذهني الحي، ويُلِمَّ بمعرفته على نحو ما يجري في الواقع النفسي لدى فرد أو أفراد"[[29]](#footnote-29)، كما أن الفكر يطرح "مشكلة القيمة منذ أن يتساءل عن شأن الوجود وقيمته"[[30]](#footnote-30).
* فريديريك نيتشه: جينالولجية القيمة؛ أي: تقييم القيمة، أو إعادة تقييم القيمة، بحثًا عن بعدها الدلالي لا العباري فحسب.
* لولي لافيل: "إننا نشعر أحيانًا أن مشكلة القيمة مشكلة جديدة، ولكن ليس من جديد سوى الاسم، أو على الأقل التصور العام الذي يعتنقه الباحثون اليوم، ففي أيامنا هذه أخذنا نتساءل: هل في وسعنا إقامة علم مستقل بالقيم نطلق عليه اسم الأكسيولوجيا؟"[[31]](#footnote-31).

1. المطلب الثاني: موضوع علم الأخلاق، فائدته، مهمته، مناهجه، أقسامه العملية والنظرية:
   * موضوعه، فائدته:

الإنسان بفطرته النقية توَّاق للفضيلة مع ما تعتريه من ابتلاءات وإكراهات طول فترة حياته، فهذا المكون من الروح والجسد، من النفس الأمارة بالسوء ونقيضها، هذا التضارب الداخلي الخفي، كان هدفًا للتحليلات والنقد والنظر منذ العصر اليوناني إلى اليوم، خاصة مع التشكيك في الأخلاق السائدة، وفي ظل البحث عن أسس المطالب الخلقية، ذات المرجع الديني أو التلقائي التقليدي، ومع وجود تباين وتناقض الأخلاق، نتيجة - كما أسلفنا - الثورة العقلية ونتيجة المجتمعات المعاصرة المتعددة الاتجاهات والمذاهب، فكان منطلق أهمية الاشتغال بعلم الأخلاق، كون تلك الأخلاق هي قابلة للتغيير، "وقد كان سقراط مؤسس هذا العلم على رأس القائلين بقبول أخلاق الإنسان للتغيير، وذهب إلى أن السبيل إلى تغييرها هو العلم، فالعلم عنده هو الفضيلة والجهل هو الرذيلة؛ أي: إن العلم بالفضائل يستتبع التحلي بها والجهل بها هو مصدر الرذيلة"[[32]](#footnote-32)، وهو رأي الغزالي الذي يقول بإمكانية تغيير الخلق، ودليل ذلك جلي في حث النبي صلى الله عليه وسلم على تحسين الخلق في قوله: (حسِّنوا أخلاقكم)[[33]](#footnote-33)، وذهب ابن مسكويه إلى نفس المذهب كذلك، لكن نجد على النقيض من ذلك من يرى بعدم إمكانية تغيير الأخلاق، وحجتهم أن العلم ليس له أثر في إصلاح النفوس، ومنهم 'هربرت سبنسر' المنكر "لأية صلة بين العلم والأخلاق، فالعلم في رأيه ليس له سلطة تهذيبية في قوله: كيف يرجى من العلم تهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس، بينما نرى من المتعلمين الذين استنارت عقولهم واتسعت مداركهم أفرادًا لا أخلاق لهم، ووعاظًا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم... وبجانب هؤلاء نجد من الجهال والأميين من هم على جانب عظيم من الاستقامة والشرف"[[34]](#footnote-34)، في إرجاء تام إلى إمكانية التغيير بالإرادة على الإطلاق، وهنا جانب سبنسر الحقيقة بهذا القول، نعم الإرادة لها دور مهم في إمكانية التغيير الخلقي، لكن أن يكون التغيير دون علم أو بإرجاء الأمر إلى الوراثة أو الطبيعة، فذلك بعيد عن الصواب، ومن هنا تتضح فائدة وأهمية دراسة علم الأخلاق دينيًّا أو فلسفيًّا، "في ترشيد السلوك الإنساني وتوجيهه نحو القيم الخلقية والمثل العليا على أساس من الفهم والوعي والإدراك"[[35]](#footnote-35).

**مهمته:**

تنطوي مهمة علم الأخلاق ودوره بين مسارين اثنين:

* الأول: اتجاه المذهب المثالي على اعتبار أن علم الأخلاق هو علم معياريٌّ، المنادِي بوضع قواعد أخلاقية للحياة الإنسانية، ومن ثَمَّ وضع مَثَلٍ إنساني أعلى للسلوك الخلقي يهتدي به الناس في كل زمان ومكان، على اعتبارهم موجوداتٍ عاقلة، فالمثالية تقِرُّ بأن التقييم متغير، ويختلف حسب مواقع الخير والشر، مع تأكيدها على اختلاف التقييم عن موضوع القيم، فالتقييم متغير ونسبي نسبية عقل الإنسان، في حين أن القيم ثابتة وغير متغيرة، وترجع "نظرية القيم الثابتة في جوهرها إلى أفلاطون، وقد تطورت هذه النظرية في القرن الحالي على يد الفيلسوف الألماني ماكس شير"[[36]](#footnote-36).
* والثاني: اتجاه المذهب الوضعي على اعتبار أن علم الأخلاق هو علم وضعي تجريبي، القائل بعدم واستحالة ضرورة وضع قواعد وأسس أخلاقية للسلوك الإنساني، بل تنحصر مهمة هذا العلم في تقرير الوقائع الأخلاقية ووصفها وبيانها، من خلال مرجعية عدم وجود إلـه وعقيدة عدم الارتباط بالوصايا، ومن ثَمَّ ترفض الاعتراف بالأخلاق المعيارية، فأنصار هذا الاتجاه يقولون بنسبية وتغير القيم، وأنها فقط ترسبات لتقييمات، فلا ثباتَ للقيم، لتغير المنفعة والفائدة، ويرجع أصل هذا المذهب إلى نظرية السفسطائيين قديمًا، الواضعين لأسس النسبية الأخلاقية المنكِرة لوجود معايير أخلاقية مطلقة.

فالحال أن أصل التعارض بين النظريتين هو الخلط بين التقييم وبين القيم، بين النظر العقلي للقيم وبين الانفعالات بهذه القيم، فالقيم والتقييم شيئان مختلفان تمامًا، والدليل على حياد الوضعيين عن الحقيقة المعرفية لثبات القيم وعدم نسبيتها ما يترتب عن ذلك من حقائق:

* "استحالة وجود معيار للحكم على قانون أخلاقي معين بأنه أفضل أو أسوأ من قانون أخلاقي آخر، فلن تكون هناك عندئذٍ أسس سليمة لتقويم السلوك، فيما عدا اتفاقه مع العُرف المحلي أو القومي، والعرف في حد ذاته لا يصلح أن يكون معيارًا أخلاقيًّا حقيقيًّا.
* يستحيل وجود تقدم أخلاقي في ظل معيار نسبي، فكيف نقول: إن إلغاء الرق أو إبطال وأد البنات كان خيرًا؟ أو إن إنهاء الحروب سيكون خيرًا؟"[[37]](#footnote-37).
* ماهية الأفضلية في الأخلاق والقيم التي يمكن للإنسان أن ينتهجها، على أي أساس سوف يكون مقياسها ومعيارها إذا لم تكن هناك معايير ثابتة وأسس يتخذها منهجًا لنَيْلِ الفضيلة؟
  + أقسامه؛ "العملية والنظرية".

ككل علم له مجالاته وأقسامه؛ فلعلم الأخلاق مجالان للبحث والدراسة:

* الأول: علم الأخلاق العملي: ويبحث في المَلَكات الفاضلة التي يلزم الإنسان التحلي بها وممارستها في يومياته، وهي كثيرة لا تُحصى ولا تُعَدُّ، وهو مجال كتابات وقرائح العديد من النخب قديمًا وحديثًا؛ كالعفة، والقناعة، والتصون، والحلم، والوقار، والحياء، والعدل، والرحمة، ونحو ذلك.
* الثاني: علم الأخلاق النظري: القائم على البحث في المبادئ الكلية بشموليتها واستنباط الواجبات الفرعية؛ كالبحث عن حقيقة الخير المطلق، وماهية الفضيلة، وعن المقاصد العملية البعيدة، والأهداف... وكل ما يُعرف بفلسفة الأخلاق، وعلاقته بعلم الأخلاق العملي، كالتي بين علم أصول الفقه وعلم الفقه؛ حيث يكون مجال اشتغال فيلسوف الأخلاق خارجًا عن النطاق العملي، نحو تحقيق الغايات والمقاصد من علم الأخلاق، المتمثلة في الخير المطلق والفضيلة بكلياتها الكونية.

1. مناهج علم الأخلاق: التجريبي، العقلي:

علم الأخلاق يُتوسَّل إلى الدراسة فيه بمناهجَ متعددة، وطرق مختلفة؛ نذكر منها: المنهج التجريبي، والمنهج العقلي، والمنهج الأنطولوجي الميتافيزيقي، ومنهج الظواهر، ونتناول على سبيل الذكر لا التفصيل اثنين من تلك المناهج:

* المنهج التجريبي: المعتمد على التجربة كطريق واحدة للمعرفة المبنية على الحس، وهو منهج قديم قدمَ الفلسفة، وهو قائم على منهج الاستقراء؛ أي: يكون الاشتغال فيه من الجزئيات وصولًا إلى الكليات، أو من الخاص إلى العام، "بتحليل الظواهر والأعمال الأخلاقية ومعرفة بواعثها للوصول إلى قانون عام"، لكن تلك المعارف ليست بالشمولية المطلقة، بل هي مبنية على الاحتمال، وهو نهج الوضعيين في بحوث علم الأخلاق، ومن مؤسسي هذا المنهج نجد: جون لوك [1632 -1704م]، في كتابه: "مقالة في العقل البشري"، وقد استخدم أرسطو المنهج الاستقرائي صعودًا إلى المبادئ وبشكل قابل للاحتمال، وليس لاستخراج قوانين أخلاقية من الظواهر الأخلاقية، كما هو حال الوضعيين القائلين بنظرية تغير القيم، فقد كان أرسطو يرفض مذهب السفسطائيين كما أسلفنا الذكر.
* المنهج الوضعي: يكون الاعتماد في هذا المجال من الدراسة على العقل المطلق في الحصول على المعارف، كونه قاسمًا مشتركًا بين الناس، ومركزَ قوةٍ فطرية، ومصدرَ المعرفة اليقينية المطلقة، وأن الأحكام الصادرة عنه مطلقة لا محدودة بالزمكانية، أو بحضارة معينة، أو دين أو عقيدة، ولا تُسنَد النتائج فيه إلى خبرات حسية، بل تكون حقائقَ فطرية ثابتة واضحة بذاتها؛ كالبديهيات الرياضية، ومبدأ التناقض وغيرها من المبادئ المعروفة، ويتخذ هذا المنهج الطريقة التجريبية الاستقرائية التي تفتح باب الاحتمالات الاستثنائية.

1. معايير العمل الأخلاقي من الرؤية القرآنية:

يُقصد بمعايير العمل الأخلاقي "تلك المباحث الأخلاقية النظرية التي يمكن من خلالها تقييم الأحكام الخلقية، وتحديد الموقف الأخلاقي، باختيار ما يجب أو ما ينبغي أن يُعتمَد من بين البدائل المتعددة المتاحة لنا، أو بتعبير آخر: الأخلاق المعيارية تزودنا بغاية أو غايات أخيرة نستطيع بها أن نبرر اختيار عمل أو اعتماد موقف دون آخر"[[38]](#footnote-38).

وتختلف تلك المعايير العملية الأخلاقية باختلاف رؤى الإنسان للعالم والحقيقة، وغاياته في الوجود الحياتي، ويمكن تفصيلها إلى ثلاثة معايير:

* الأول: المصالح والغايات الدنيوية، أو مذهب المنفعة بالمفهوم الغربي، القائم على التلوُّن الأخلاقي حسب المصالح، وإشباع الرغبات وربط الحياة الرغيدة بالعمل، وتقوم هذه النظرية على أسس ثلاثة:
  + لا يكون الحكم على الفعل بالصحة أو عدمها بناء على ذاتها، بل بناء على نتائجها.
  + يكون معيار نتيجة الخير أو الشر بالسعادة أو التعاسة عن طريق الأفعال.
  + المساواة بين مصلحة الفرد والمجتمع.

فلا يمكن إلزام الإنسان بالأخلاق دون ضمان وجود منفعة أو مصلحة ذاتية وهو المذهب الأناني لـ"هوبز"، فلا مجال للأفعال الأخلاقية ما لم تكن هناك منفعة أو لذة، أو خير أو سعادة، فأساس الأخلاق هي المنفعة ومتى تعارضتا، فلا اعتبار للأخلاق"[[39]](#footnote-39)، وهذا دأب الأغلب، والمنهج الذي أصبح عليه الناس للأسف الشديد، فتكاد تكون هذه النظرية عالمية إلى حد ما، فما نراه اليوم من تخريب للعلاقات الاجتماعية، والانهيارات الأخلاقية، والانحطاط على المستوى الفكري ذي الاتجاه النفعي، وعلى المستوى الاقتصادي العالمي - لا خلاص من عواقبه إلا بالرجوع إلى المعايير الأخلاقية الثابتة بدستور الأخلاق القرآني.

* المعيار الثاني: والمعتمد على الغايات الأخروية كمعيار في تقييم الأعمال، فالمقياس المعتبر للخير والحسن مرتبط بالآخرة، وزهد مطلق في محاسن الدنيا وخيرها، وهو منهج المتصوفة والرهبان، وهذا المعيار لم يكن هدف الوحي القرآني كذلك؛ لقوله عز وجل: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: 77]، فلا تفريط ولا إفراط.
* المعيار الثالث: المعيار القرآني، وهي المصلحة العامة القائمة على مبدأ الاستخلاف والنهوض الحضاري للعالم في شموليته وعالميته وكونيته، مبدأ المنفعة المطلقة للإنسان والكون، بما في ذلك من دلالات، يجمعها مبدأ التوحيد، الذي يعطي المعنى الحقيقي للمعيارية العملية للأخلاق، في مظهر ناظم لثلاثية الوحي والإنسان والكون، فالمعرفة الأخلاقية القرآنية، لا يمكن وسمها بتعدد المعايير بقدر ما يمكن وسمها بالتوحيدية، فتوحيد المنبع وتوحيد المنهج كفيلٌ بتوحيد معيارية العمل الأخلاقي، وعليه يكون "الهدف الذي ينبغي لنشاط المؤمن الطائع أن يتوخَّاه وهو يؤدي واجبه لا يكمن في طيبات هذه الدنيا، ولا في السرور والمجد في الأخرى، ولا في إشباع شعوره الخيِّر، بل ولا في إكمال وجوده الباطن... إنه الله، الله الذي يجب أن يكون نُصبَ أعيننا، وأية غاية أخرى تدفع الإنسان للعمل هي في ذاتها انتفاء للقيمة وعدمٌ"[[40]](#footnote-40).

1. المبحث الثاني: فلسفة القيم؛ النشأة والتطور.

تطوَّر الفكر البشري عبر ثلاث مراحل كبرى من المنظور الغربي، "والتي مثَّلت تطابقًا تقريبيًّا بأقسام التاريخ السياسي المدرسية المتمثلة في العصر القديم، وينتهي بنشأة الفكر الفلسفي اليوناني إلى حدود سنة 529 للميلاد، خاصة بعد إغلاق الإمبراطور جوستينيان مدرسة أثينا، وإنهاء ممثلي المذهب الأفلاطوني الجديد، ثم العصر الوسيط وعصر النهضة، والذي عرف ازدهارًا للفلسفة العربية، وإسهامًا في نشأة النهضة والانبعاث الغربي، لِيَلِيَهُ العصر الحديث في القرن السابع عشر، وما تلاه من تطور فكري"[[41]](#footnote-41).

1. المطلب الأول: مراحل تطور فلسفة القيم.

* القيمة في العصر اليوناني:

كان البحث فيه عن الكائن من حيث هو كائن، وعن الوجود من حيث هو موجود، فالأفلاطونية تُحيل سبب الوجود إلى الخير أو القيمة، وتضم فكرة الخير المطلق إلى الحق والجمال المطلقَين، في حين تعتبر الكائنات الأخرى ظلالًا متفاضلة للثالوث الإلهي، وأن المثل الأعلى - أو الله - مقياس الأشياء كلها، وهو قيمة القيم، في حين يرى بروتاغوراس الإنساني، أن لكل إنسان حقيقته، وأن للقيمة واقعًا ذاتيًّا، وليس كامنًا في المثل العليا، وبالتالي فالإنسان هو معيار كل شيء[[42]](#footnote-42)، في حين حاول سقراط ربط القيمة بالمنفعة على اعتبار أن القيمة هي سمة كلية معيارها الإنسان، أما من وجهة نظر أرسطو، الذي اعتمد على المادة والصورة كثنائية بدل القيمة والواقع؛ حيث رأى أن القيمة متجسدة في الواقع تجسد الصورة في الهَيولَى، وأن تحقق القيمة هو إنتاج الطبيعة ذاتها بذاتها، كما يرى أن للمادة وجودًا بالقوة يصبح وجودًا بالفعل ناجمًا عن اجتذاب الصورة للمادة، كون التسلسل الطبيعي لمختلف صور الوجود ينتهي في التأمل أو الخير المحض، أو الكمال، ومن ثم تتحد النفس البشرية بالعقل الإلهي مسهمة في حياة الخلود... في حين نجد أبيقور وفلسفته النظرية التي تؤسس اللذة على الحكمة، والحكمة اقتصادًا في اللذة، أو لذة فاضلة، ثم نجد النزعة الحسية والديونيسية الغريزية المعتبرة بأن اللذة لذة جسدية وذوقية كلية، لنصل إلى الفترة الهيلينتسية وأفلوطين الموفَّق في نظريته للواحد، بين اليونان والمسيحية؛ حيث رأى أن القيمة هي ينبوع حياة النفس، والمبدأ المشترك بين المعرفة والوجود، وذلك بإخضاع الروح للفكر أو المثل العليا[[43]](#footnote-43).

* القيمة في العصر الوسيط:

في ظل النظام اللاهوتي في هذا العصر تعذَّر بلوغ الكائن إلا من خلال صلته بالشخص "الأنا"، وخضعت هذه الأخيرة لتراتبية المنظور اللاهوتي المسيحي؛ حيث المادة هي الأدنى، ثم الجسد، والروح هي المثال الأعلى في ثالوث اللاهوت المقدس، من ذروة الله، إلى حضيض العدم، في حين نجد أن المسيحية ألحقت على فكرة الإله - الإنسانَ المجسد الوسيط للقيمة في الوجود، باعتبار أن الله ذاته شخص، وأنه يقتضي أن يعيش خلقه كافة حياة شخصية باتحاد معه، ولا تكون الحياة سوى الوسط الذي يتم فيه هذا الاتحاد[[44]](#footnote-44)، فأصبحت القيمة كلها قيمة دينية، بناء على إناطة الاتحاد باللطف الإلهي، فخرجت عن المفهوم الفلسفي العقلي للقيمة إلى المفهوم اللاهوتي.

* القيمة في العصر الحديث:

عرف عصر النهضة والأنوار تذبْذُبَ فلسفة القيمة بين الوضعية "بيكون"، والمثالية العقلية، و"ديكارت"، وتغدو القيمة مماثلة في السيطرة على الطبيعة والواقع في قواعد الفكر والسلوك، فبعد ثورة ديكارت على فلسفة العصر الوسيط، ونظريته بعدم انفصال لا نهائية الكائن وكمال القيمة، ورؤيته بأن كل لذة لا بد لها من مقياس بحسب قاعدة العقل، وأن الخير الأسمى هو معرفة الحقيقة، "أنا أفكر إذًا أنا موجود"، فإن الخير ليس له مجال للتجلي إلا بالعقل؛ لأن من كمال الإنسان ملكه للعقل، وأن القيمة تقوم على الذات المفكرة "الكوجيتو"، كما أن إسبينوزا يرى أن لانهائية الكائن تستغرق كمال القيمة، بالرغم من أنها تتصل بالحكمة والمعرفة، وأن القيمة هي مدنية كاملة.

ثم إن كانط العقلاني جعل مفهومَي الجدارة والقيمة مقوِّمَين لفلسفيته الأخلاقية، باعتبار أن جدارة الإنسان وأهميته تمثلان معيار القيمة والأخلاق، وأن مفهوم القيمة لديه هو أن العمل يكون دائمًا على اعتبار أن الشخص الإنساني غاية لا واسطة، وأن العاقل له كرامة تميزه عن غيره من الكائنات التي ليس لها في ذاتها غاية، على عكس الكائنات العاقلة التي غايتها في ذاتها، ويرى كانط أن الدين ليس أساسًا للأخلاق، بل إن الدين أساسه الأخلاق، في حين نجد هيجل يتبنى نظرية اعتبار الدين قضية أخلاقية، وأن القيمة الأخلاقية قيمة عقلية كلية، وقد وحَّد العقل بالموجود باعتبار كل موجود معقول، وكل معقول موجود، في الجدل الديالكتيكي[[45]](#footnote-45) الكلي[[46]](#footnote-46)، بيد أن ماركس يتجه بمفهوم القيمة إلى القيمة الاقتصادية، القائمة على العامل الاقتصادي؛ أي: إن القيمة الاقتصادية هي مقوم لكل قيمة أخلاقية وجمالية وحقوقية؛ حيث يتبنى فكرة أن للعالم المادي وجودًا موضوعيًّا مستقلًّا عن الوعي، ففائض القيمة لدى ماركس، هي أداة لسيطرة ربِّ العمل على العامل، وأن ما يدفعه رب العمل للعامل ليست قيمة حقيقية في تقدير جهده وعمله، بل يدفع له فقط ما يسد رمقه، على اعتبار اغتراب الطبقة العاملة في التاريخ، وعلى وجه الخصوص في الحقبة الرأسمالية، التي كانت ثورته عليها بمفهوم الاشتراكية الشيوعية، Communism القائمة على التكافل الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث، فالصراع الطبقي لدى ماركس يشكل تأسيسًا وعاملًا مهمًّا على صعيد توفر القيم وتطورها والتمسك به وترسيخها.[[47]](#footnote-47)

1. دلالة القيمة ومغزاها.

يمكن اعتبار القيمة في نظر البعض في الكمال أو الجمال، أو الحق، أو الحقيقة، أو الجدة، أو الاستقامة، أو الثبات أو الثبوتية، وبالمعنى العلمي؛ كنظرية الجاذبية، أو نظرية التطور، أو النسبية، وقد تكون القيمة ذات مفهوم لاهوتي، كالخير والحق والجمال... ويمكن أن يكون للقيمة كذلك مفهومًا جماليًّا فنيًّا، أو علميًّا كاكتشاف علم الميكانيكا والثورة المعلوماتية وعلم الجينوم... وكذا المعنى الاقتصادي للمفهوم القيمة كتعريف أرسطو لأنظمة الحكم: الملكية، والديمقراطية، والبلوتوقراطية، والأوليغاريشية في علم السياسة، وكذا المعنى السيكولوجي للقيمة والمتمثل في نظرية اللاوعي الفرويدية التي كانت عاملًا في القطيعة الأبستمولوجية في الحقل السيكولوجي القيمي، ويضاف إلى هذا المفهوم القيمي نظرياتُ علم النفس الفردي، والاجتماعي، وعلم الشكل الكلي، كما يمكن وسم كل إنجاز علمي، رياضي، وفولكوري، وأنتربولوجي...[[48]](#footnote-48).

فالقيم الكونية أخذت معانيَ وأشكالًا متعددة على مر العصور، بدءًا بمرحلة شريعة حمورابي، وعبر أديان التوحيد والمبادئ المتبناة على شكل وصايا وأوامر ونواهٍ، إلى حدود العصر الحديث الغربي ومفكريه الذين فقالوا بوجودية القيم، وبتقدم الذات والذاتية الإنسانية على الذات والذاتية الإلهية، بما في ذلك من الليبرالية القائمة على مفهوم المنفعة والمصلحة الاشتراكية الاجتماعية وليس الفردية[[49]](#footnote-49).

1. طبيعة وتصنيف القيم.

اختلف الباحثون حول طبيعة القيم بين مقر لوجودها مستقلة عن العقل، وبين قائل بأنها من صنع العقل ذاته؛ وهل هي مطلقة أم نسبية؟ ثابتة أم متغيرة؟

* نظرية المثاليين العقليين: يرون أن القيم صفات عينية كامنة في طبيعة الأقوال "في مجال المعرفة"، أو في طبيعة الأفعال "في مجال الأخلاق"، وفي طبيعة الأشياء "في مجال الفنون"، ولأن القيم لا يطرأ عليها أي تغيير بتغير الظروف والملابسات أو الزمكان، فإنها ثابتة غير متغيرة.
* نظرية الطبيعيين بالحسين، والوضعيين والبرجماتيين، والوضعيين المنطقيين، التي تقول بنسبية القيم وأن مردها إلى الفرد، صفات يتجرد عنها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان، والظروف والأحوال.

والحق أن القيم لها وجودها الخاص مستقلة تمامًا عن تقسيماتنا، بدليل أنها تفرض نفسها على كل وجدان بشري بطريقة أولية حدسية، فالإنسان يدرك القيم - وهو قول هارتمان - بنوع من الرؤية الباطنة، رؤية وجدانية وليست عقلية... يستشعر فيها القيم، ودليل ذلك إدراك الطفل لها كما هو الناضج، وإدراك الجهال لها كما هم المثقفون من الخاصة[[50]](#footnote-50).

وأما بخصوص بعض تصنيفات القيم فهي كالآتي:

* القيم النظرية: القائمة على نظرية المعرفة والحقيقة لذاتها، كالقول بأن الخير هو العدل، أو الكمال أو الاستقامة، ويكون أساسها ميتافيزيقيًّا، وأنطولوجيًّا، ومنطقيًّا.
* القيم المثالية: التي تعتبر القيمة العليا في المثل "أفلاطون"، أو أن مناط القيمة الأخلاقية هو الفضيلة، وهي مرتبطة بالوازع العقلي "أرسطو".
* القيم العملية أو الإرادية: القائمة على العمل "ماركس وماكس فيبر"، أو الإرادة "نيتشه".
* القيم المعرفية أو الجمالية: القائمة على العلم، والجمالية القائمة على الذوق.
* القيم الدينية اللاهوتية: المؤسسة على أن معيار الخير والشر والجمال هو الله والإيمان به، والتقوى، والخلاص الروحي، والثواب والعقاب، واليوم الآخر والقيامة...
* قيم الفلسفة الإيكولوجية: المعتبرة أن الحفاظ على البيئة والمجال الحيوي غاية الأخلاق.
* قيم الفلسفة النباتية: المعتبرة أن العنف هو أصل الشر ضد الإنسان والحيوان، وأن تراجيدية القتل الأخوي بدأت منذ عهد ولدي آدم عليه السلام، وأن لا خلاص إلا بالعودة إلى الأخلاق المثليات، وإلى الطبيعة واعتماده النظام الغذائي الطبيعي النباتي، وعدم انسلاخه من الإنسانية الملائكية بعدم سفك الدماء.

1. المطلب الثاني: خصائص القيم الخلقية.

في ثنايا بحوث المتخصصين في علم القيم الأخلاقية، تجد أن بعضهم يفِّصل خصائص هذا العلم إلى الآتي على سبيل الأهمية لا الحصر:

* أن القيم لها وجود مستقل عن الإنسان، قائم بذاته، مثل أي شيء في العالم، بيْدَ أنه مثالي لا واقعي، وهي مطلقة في الزمان والمكان كالقضايا الرياضية.
* أنها عبارة عن نداءات موجهة إلى الضمائر مما هو على شاكلة "ينبغي أن يكون"؛ وبالتالي لا يمكن انتزاعها من الواقع المعبر عنه بما هو كائن.
* أنه كلما كان إدراك القيم أوضح، كان رد الفعل لدى الإنسان أشد، وكلما كانت الإرادة "التحمس للفعل أو الاستياء منه" أكثر قوة[[51]](#footnote-51).

1. درجات القيم والخير الأقصى.

للقيم سُلَّمٌ وتقسيمات عديدة غير التي هي كامنة ووسيلية كتصنيفها إلى عضوية: جسمية واقتصادية وترويحية، وفوق عضوية؛ أي: الشخصية والعقلية والجمالية، وإلى قيم استبعادية واشتمالية، أو دائمة وعابرة، أو عليا ودنيا.

أي: إن للقيم سلمًا متدرجًا، له قمة وهي القيم العليا، أو الخير الأقصى والأسمى؛ وعلى أساس ذاك السلم يتوقف تحقيق الخيرية في الحياة.

1. خصائص الخير الأقصى.

وللخير الأقصى خصائص وشروط تميزه كأقصى خير: نذكر منها:

* أن يكون خيرًا كامنًا لا ريب فيه، خيرًا لذاته لا وسيلة إلى غيره.
* شموليته لاحتمال أوجه أنشطة الإنسان كونها وسائل لتحقيق ذاك الخير الأقصى.
* ألَّا يكون مستحيل التحقيق، بل ممكن التحقيق ولو بشكل جزئي، لضمان توطيد الصلة بالحياة البشرية.

1. الفصل الثاني: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية.

سعى رجال الدين في البلاد الغربية إلى دعم سلطة ونفوذ الكنيسة، وكدسوا ثروات هائلة، وامتلكوا شوكة في المجتمع الأوروبي، وتحالفوا مع النبلاء والإقطاعيين وشجعوهم على الظلم والاستبداد، فكانت تلك الأسباب التي جعلت "أوجست كونت" يثور وينعى الديانة المسيحية، ومن ثَمَّ ما حدث من فصل الدين عن الدولة، كل تلك الأحداث تفسر بشكل أو بآخر النزاع الغربي حول قضية "فصل الدين عن مجالات النشاط الإنساني ومقوماته في مجالات العلم والأخلاق والاقتصاد والسياسة[[52]](#footnote-52)، كما كان الشأن بالنسبة لـ"كانط" صاحب المذهب العقلي الحليف للدين في ألمانيا، "لكن سرعان ما تبدَّى له أن الجانب العقدي من الدين غير ممكن البرهنة عليه، وكان السبيل الوحيد أمامه هو إلغاء العقيدة من سجل المقدسات، وباستلال العقيدة سيطر مذهب المنفعة على الفلسفة الأخلاقية، وهكذا أتم المذهب العقلي مهمته بهيمنة الإلحاد"[[53]](#footnote-53).

بيد أن المسلمين كانوا قد أتقنوا تشييد صرح حضارتهم، وامتد حضورهم التنموي والعمراني من الجزيرة العربية عبر جلِّ القارات الأرضية إلى حدود فرنسا، مؤسسين فكرهم العقدي والعمراني على المنهج الصحيح والفهم القويم للإسلام، فلا انعزالية عن الواقع، ولا تلبُّس بالكهنوتية البغيضة، بل اعتدال وشمولية وواقعية وعالمية وكونية، حصَّلوا بذلك على تكاملية وكمالية إنسانية في الروح والمادة والعقل، وأفلحوا في تنظيم العلاقة بالخالق وبالمخلوق في كل مظاهر الحياة، دينًا وحضارة.

ولا شكَّ أن منبع الأخلاق والتزكية المتمثلة في الوحي قرآنًا وسنة، كفيل بنخل ذاك التراث من البدع القولية والفعلية، يقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: 2]؛ أي: تهذيب النفوس وتزكيتها وتحليتها بالفضائل، وتخليتها من الرذائل، على سمْتِ الصحابة رضوان الله عليهم وأخلاقهم وإخلاصهم، الذي أسس لمجتمع فاضل مثالي أوحدَ.

1. المبحث الأول: القيم والأخلاق قبيل الحضارة الإسلامية.

1. المطلب الأول: الأخلاق في العصر الجاهلي.

كانت العرب قبل الإسلام على وعيٍ تامٍّ بأهمية الأخلاق والقيم في الحياة الاجتماعية والفردية؛ فقد كانوا مفطورين على القيم والأخلاق المثلى في معاملاتهم، وكذلك مما تبقى لديهم من شرائع ووصايا إبراهيم عليه السلام، وذاك جليٌّ في أشعارهم ومعلقاتهم، وخطاباتهم النثرية، الزاخرة بالحكم والوصايا والنصائح الخلقية الموسومة بالتفكير الفطري، فلم يكونوا مبتكرين للفلسفة أو ناقلين لها عن غيرهم، لكن كانت فطرتهم تنضح بالقيم الخلقية؛ كالمروءة والشجاعة، والكرم وحسن الجوار، والعفو عند المقدرة، وإغاثة الملهوف، ونصرة الجار، وحماية الضعيف... وغيرها من الأخلاق الفاضلة التي اطمأنت أنفسهم لها، فهذه هند بنت عتبة بعد إسلامها وحين مبايعتها للنبي صلى الله عليه وسلم، تستغرب في إمكانية زنا الحرائر من النساء، وما ذاك إلا دليل عن رسوخ العفة والنقاء الفطري لديهم، وأن النفس تطمئن إلى عمل الخير وتهفو إليه، إلى أن التحمت السماء بالأرض وحلت بشائر الهادي محمد صلى الله عليه وسلم، ليتمِّمَ ما كان ناقصًا من مكارم الأخلاق، ويقوِّم ما كان معوَّجًا، وليصل بالبشرية إلى المثل العليا والأخلاق المثلى والقيم النفيسة، إنه الإسلام "الذي جاء متممًا لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وصالحها، ومحفوفًا بها، وناظمًا لها في عقد فريد متناسب الحلقات، مضبوط التركيب والتوازن والتكامل، قادرًا بحقٍّ على إضفاء جمال أخلاق القرآن على الإنسان"[[54]](#footnote-54).

* + 1. الفضيلة، VERTU

إن الفضيلة من حيث مدلولها اللفظي تعني الفضل والزيادة، أما في الاصطلاح؛ فمعناها: الاستعداد الدائم لفعل الخير، وبتعريف ابن رشد: هي ملكة مقدرة لكل فعل هو خير من جهة ذلك التقدير، أو يُظَنُّ به أنه خير[[55]](#footnote-55).

ذكر "لالاند" في موسوعته الفلسفية أن الفضيلة "استعداد دائم للرغبة في أداء نوع محدد من الأعمال الأخلاقية، (ليس حب النظام هو الفضيلة الكبرى بين الفضائل الأخلاقية، بل هو الفضيلة الوحيدة؛ إنه الفضيلة الأم، الأساسية، الكلية، الفضيلة الوحيدة التي أعادت النفوس أو استعدادات العقول فاضلة)"[[56]](#footnote-56).

إن مفهوم الفاضل يوسم بها كل قائم بواجباته غير مفرط به، ساعٍ إلى جلب الخير للغير والذات، "وقد يُطلَق على الفضيلة اسم القيمة الإيجابية، كما تعتبر الرذيلة قيمة سلبية، والفضيلة بوجه عام تنزع في الحالين إلى أن تتحقق بحسب قواعد معينة دقيقة لأنها معيارية، إنها استعداد ثابت لممارسة الخير... وقد اعتبر كانط أن الفضيلة هي المبدأ الداخلي لأفعالنا، وهو يحدد غاياتها الأخلاقية، وهذه الغايات هي – أولًا - كمال المرء ذاته، وثانيًا سعادة الآخرين، وممارستها هي ممارسة دائمة ومعتادة يصحب شعورًا برضًا أخلاقيٍّ عميق"[[57]](#footnote-57).

واعتبر "أرسطو" أن الفضيلة ناقصة ما لم يقُمِ الإنسان بعمل الخير دون الشعور بالصراع المتعلق بحوافز عمله؛ أي: أن تكون الفضيلة خالصة فطرية دون انتظار مقابل أو تحقيق أهداف خفية من خلال فضيلته، وهذا تجده في الواقع قليلًا، إن لم نقُل نادرًا ما يتحقق، فالنفوس مجبولة على المنفعة وأخذ المقابل من خلال العمل بالفضيلة وجلب الخير للآخر أو للذات، فيكون الحب لأجل الحب، وتكون الصداقة لأجل الصداقة، وليس لأغراض مأمولة أو منتظَرة ومخطط للحصول عليها، وتكون العلاقات الاجتماعية خالصة وكأن الفضيلة وجلب الخير هو محركها وأساس دوامها وتحقيقها، ولذلك نجد "أناسًا يتحلَّون ببعض الفضائل تحليًا منذ الأصل، وأن آخرين يكتسبون فضائلهم بإنفاق حد أدنى من الجهد، والثابت أن الإنسان لا يتحلى بحدس العدل والواجب فحسب، بل يتحلى بحدس الأفضل... فالتطلع الأفضل يعفي من شعور العناء والقهر الملزم، ويرنو إلى الفضيلة لأنها هي الأفضل"[[58]](#footnote-58).

والفضيلة يمكن وسمها بالخُلُق الطيب، "والخلق هو 'عادة الإرادة'، فإذا اعتادت الإرادة شيئًا طيبًا سُميت هذه الصفة فضيلة، والإنسان الفاضل هو ذو الخلق الطيب الذي اعتاد أن يختار أن يعمل وفق ما تأمر به الأخلاق، وبذلك يكون الفرق بين الفضيلة والواجب واضحًا، فالفضيلة صفة نفسية، والواجب عمل خارجي"[[59]](#footnote-59).

* + 1. العفة.

العفة أو الاعتدال أو ضبط النفس، هو التوسط في المَيل إلى الشهوات وإخضاعه لسلطة العقل، على المستوى الجسماني والروحي والنفسي، فيكون الإنسان معتدلًا في ميوله الجسمي، مأكله وملبسه، وفي انفعالاته، غضبه وحزنه وغيرها، فيكون الإنسان سيد نفسه، ولا يتأتى ذلك إلا لذوي العقيدة الدينية السليمة والإرادة القوية، فيكون اعتدالًا بين الزهد إلى حد الرهبنة، وبين الإسراف والإفراط في اللذائذ، "والمحمود هو التوسط كما في الكرم مع التبذير والبخل، وكما في الشجاعة مع الهوج والجبن، وغير ذلك من الصفات الإنسانية"[[60]](#footnote-60).

ويندرج تحت فضيلة العفة فضائل متعددة؛ نذكر منها: فضائل الحياء والدعة والصبر، والسخاء، والحرية والقناعة، والدماثة، والانتظام، وحسن الهدى، والمسالمة والوقار، والورع... وكما أن العفة فهي "وسط بين رذيلتين، وهما الشَّرَهُ وخمود الشهوة، فأما الشره فهو الانهماك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي، وأما خمود الشهوة فهو السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته، وهي ما رخَّص فيه صاحب الشريعة والعقل"[[61]](#footnote-61).

كما فرَّق المشتغلون بعلوم الأخلاق بين العفة والزهد أو التقشف؛ فهذا أرسطو يصف المعتدل أو العفيف بالذي "يشتهي ما يجب عليه أن يشتهيه، وهذا أيضًا هو ما يقضي العقل باشتهائه"[[62]](#footnote-62)، أما الزهد فمعناه الحرمان، والامتناع الإرادي ليس فقط من الزوائد، بل وأيضًا من الضروريات، وفرض الآلام والمجاهدات على النفس ابتغاء الحصول على مزيد من السيطرة على الذات، فالزهد إذا زاد عن الحد المعقول اعتُبر تعذيبًا للذات[[63]](#footnote-63)؛ لذلك فالاعتدال والتوسط مطلوبان في مسألة التمتع بالملذات وفق الحدود المشروعة، يقول الحق سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأعراف: 32]؛ فالعفة ليست القضاء "على الرغبات والشهوات، وإنما يُقتضى تهذيبها واعتدالها، وجعلها خاضعة لحكم العقل، ففي القضاء على الشهوات قضاء على الشخص وعلى النوع، وفي اعتدالها سعادتهما جميعًا"[[64]](#footnote-64).

1. المطلب الثاني: الأخلاق في العصر الإسلامي.

حلت نسمات الهادي في أمِّ القرى ومن حولها بالأخلاق الفاضلة، والسمت الحسن والصبر على الأذى، ودماثة الخلق، فكانت حقًّا دعوة أخلاقية كونية نظريًّا وتطبيقيًّا، تُمِّمَت بها مكارم الأخلاق في الرقعة القرشية، ومن ثم إلى العالم بأسره، "وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة، وهي المسماة بحسن الخلق، فجميعها قد كانت خُلُق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها، حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4]؛ قال أنس: ((كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقًا))[[65]](#footnote-65)، فأخذ المعتنقون للإسلام بالتدبر في تعاليمه وآدابه وتشريعاته، وأثبتوا وسمهم واستحقاقهم للخيرية، واغتنت مداركهم المعرفية بعد انفتاحهم على الشعوب والحضارات المتابعة لسريان مجدهم، فتُرجمت كتب الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، ومن ثَمَّ أضحت عناية العلماء المسلمين بالعلوم المختلفة، فتفحت عقولهم على آفاق جديدة من العلم والمعرفة، وعلى وجه الخصوص علم الأخلاق، والذي كان موضوعه روح ما جاءت به الشريعة الإسلامية، التي ارتبط عمل الفضائل بالجزاء واقتراف الذمائم بالعقاب؛ أي: إلزامية التحلي بما هو فاضل، ومردُّ الأمر وأصله يؤول إلى الوحي؛ أي: إلى مُسَلَّمَة ثباتها واستحالة تغيُّرها... الفضائل التي هي نجاة الفرد والمجتمع والإنسان؛ لقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: ((إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[[66]](#footnote-66)، ويقول عز وجل في كتابه الحكيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 97].

جاءت تعاليم الدين الحنيف بعدم اعتبار الجانب المادي في الإنسان فقط، القائم على الأنانية البغيضة، بل إلى استشعار واعتبار الجوانب الروحية والإنسانية الكامنة فيه، والمتمثلة في المحبة والإيثار والإخاء والعطف والرحمة والسماحة..."فأصل فروعها، وعنصر ينابيعها، ونقطة دائرتها: العقل، الذي منه ينبعث العلم والمعرفة، ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي، وجودة الفطنة، والإصابة، وصدق الظن، والنظر لمصالح العواقب ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحسن السياسة والتدبير، واقتناء الفضائل، وتجنب الرذائل"[[67]](#footnote-67).

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا))[[68]](#footnote-68)، بأمرٍ من الخالق عز وجل، وسعيٍ من المصطفى إلى إقامة مجتمع متماسك تسود فيه القيم الخلقية، ليس على غرار مذاهب الأخلاق اليونانية أو غيرها التي هي صنعة وبلورة البشر، بل هي تعاليم ربانية محضة، لا يأتيها الباطل، ملزمة للعباد، روحها نشر المعروف ونبذ المنكر، وحسن الاستخلاف والعمران، وهدفها سعادة الإنسان وهدايته إلى أفضل النجدين، هي دعوة كونية شمولية عالمية إنسانية، تلقَّاها الصدر الأول جملة وتفصيلًا ولم يُخلق لديهم إشكال مصدر معرفة النجدين، إلا بعد توسع الحضارة الإسلامية كما أسلفنا؛ حيث انبثق علم الكلام، وأثمر فِرَقًا؛ نحو الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية... قصدها وهدفها الدفاع عن الدين والمعتقد، لكن، أينما حل الجدل، حل معه الاختلاف في النظر؛ حيث أعزى فريق معرفة الخير والشر إلى العقل، وأنها ذاتية، فيما ذهب أهل السنة إلى القول بمصدريتها من الشرع، وأنه لا دخل للعقل فيها، بل مرجع الحكم عليها إلى الشرع، والظاهر أن الخطاب القرآني جمع بين الحسنيين لابتغاء المعرفة؛ فالتعاليم والدلالات التي جاء بها أسلوب القرآن الكريم في خطابه للمكلف، بإعمال العقل والنظر والاعتبار والحس، لا يقل أهمية عما جاء فيه كخطاب تكليفي، والصحيح أنه ليس هناك خلاف يستحق كل ما حُرر وكل ما دُوِّن في تلك القضايا، والعود إلى حال القرون الأولى دليل على صواب ما خلصنا إليه.

1. ميادين الفلسفة في الأمة الإسلامية.

تبقى قضية بروز علم الأخلاق لدى المسلمين، كما قلنا، بعد انفتاح علماء الأمة الإسلامية على الفلسفة والعلوم المختلفة والترجمة، كل تلك الدوافع، فرضت الفلسفة نفسها على علماء المسلمين، ليستقل لديهم علم الفلسفة الإسلامية، ومنها علم الأخلاق، وتفرع هذا العلم لدى المسلمين إلى ثلاثة ميادين:

* ميدان الفلسفة التقليدية، التي يعبر عنها أمثال: الكندي، الفارابي وابن سينا وابن رشد، الذين اقتصروا في أكثر الأحوال على الدراسة النظرية متأثرين بالفلسفة اليونانية، الدخيلة على علوم المسلمين.
* ميدان علم الكلام، ولا نكاد نعثر فيه على مذهب أخلاقي متكامل شامل لكافة المشاكل الأخلاقية، فيما عدا بعض الموضوعات المهمة المتصلة بالأخلاق؛ كقضية الخير والشر، والحسن والقبح، والاختيار والجبر.
* ميدان الزهد والتصوف، وقد احتوى تراثه على كثير من البدع باستثناء أهل القرون الأولى من الزهاد الذين التزموا بالتقيد بالكتاب والسنة، وهؤلاء يمكن اعتبارهم علماء أخلاقيين بمعنى الكلمة[[69]](#footnote-69).

من خلال ما طرحنا، يمكن استشكال العناصر الآتية: ماذا يمكن للإسلام أن يقدم للغرب على المستوى المعرفي؟ هل القيمة والأخلاق هما ما يمكن تقديمهما إلى الغرب على المستوى المعرفي؟ هل تمت في الفكر الإسلامي بلورة نظرية أخلاقية ذات منهجية معرفية كفيلة بخلاص الإنسان من براثن العقلانية والنفعية والذاتية؟ إشكالات تُطرح في الساحات الفكرية الإسلامية، وتحتاج إلى العامل التطبيقي والنظري لملامسة حلولها، وللتمكن من تبادل الأدوار مع الغرب من مستورد لكل شيء إلى مُصَدِّرٍ للأصلح والأقوم، في إطار المسؤولية الملقاة على المسلمين كل حسب مجال اشتغاله؛ دفعًا بالإنسان إلى الخيرية والفضيلة، وحسن الاستخلاف والفعل الحضاري والعمران.

1. عمد النظرية الأخلاقية المعرفية القرآنية.

أحكم الحق سبحانه البيان الكوني، بأن بثَّ فيه ما يفيد الناس في إقامة واجباتهم والتزاماتهم العملية على أتم وجه، وبث فيه أيضًا المعاني النظرية الضرورية الأخلاقية، الموصلة إلى معرفة مصدرية وشروط القاعدة الأخلاقية، وبأي وسيلة يُتوصل إلى الفضيلة، وإلى معرفة النتائج المزمع تحصيلها من المنظومة الأخلاقية، لكي تكون نبراس الإنسان للفوز بالسعادة في الدارين؛ انطلاقًا من عالمية وكونية الخطاب القرآني، "فالإلزام والمسؤولية والجزاء والنية والجهد، تلكم هي العُمُد الرئيسية لكل نظرية أخلاقية، راعية بمراميها..."[[70]](#footnote-70).

إن كمالية الأخلاق القرآنية تستلزم إلى جانب تنظيم العلاقات بين البشر وبين خالقه، التقنين الضابط لتلك الأخلاق، "فالشعائر الدينية المحضة لا تشغل في هذه الأخلاق سوى أقل مكان"[[71]](#footnote-71)، إذا فرَّقنا بين ممارسة المسلم لنشاطه في الميدان الحيوي والاجتماعي بشكل ممتد وظاهر، وبين نشاطه العميق الباطن الذي يتميز بعمق التدين وبمتانة علاقته وحبه لخالقه، ومن ثَمَّ طاعته له والخضوع له بُغية نَيل رضاه، وهنا يرى د. عبدالله دراز أن الأخلاق القرآنية ليست فقط دينية ذات رقابة سماوية فحسب، بل توجد رقابة الضمير الأخلاقي، ورقابة السلطة الشرعية للحلول دون تفشي الظلم والرذيلة؛ بحيث تستوعب هاته المفاهيم الإنسان المبتدئ والطيب والحكيم والقديس، من خلال تعاليم أخلاقية تربوية صالحة لجميع المراتب المجتمعية، كما أن تلك التعاليم ليست دينية، بل هي متموقعة ضمن إرادة عليا، لا مجال لتدخل العقل فيها، أو للشعور الإنساني، بل تستلزم الخضوع والطاعة دون جدل، في إطار التربية الأخلاقية المتكاملة، النابعة من الحكمة الإلهية، والقائمة على مفهوم غير محدد للخير المأمول، ويرى د.عبدالله دراز "أن العنصر الديني يعود في جزء منه - في اعتبار المشرع – إلى علاقات ثلاث:

* اعتباره جانبًا من الحياة الإنسانية تحتاج إلى قاعدة منظمة.
* باعتباره ضمانة كبرى للنجاح في تطبيق القانون.
* اعتباره تسويغًا لكلا التحديدين، وبذلك يخلص عبدالله دراز إلى أنه في جميع الحالات لا يتراكب العنصران: الديني والأخلاقي، ولا يمكن لأحدهما أن يعرف الآخر، ليستشكل حول إمكانية حصول هذا التراكب ولو من ناحية واحدة على الأقل من منظور مصدرها التشريعي، ليتساءل حول النفوذ التي يمارسه الواجب على كِيان الإنسان، وإمكانية نشوئه كسلطة دينية محضة في نظر القرآن[[72]](#footnote-72).

استطاع د. دراز أن يصل إلى حقيقة هذا الإشكال المطروح بعدم الإقرار به من أوجه:

* أن شريعة الضمير بحسب القرآن سابقة في الوجود على شريعة الدين الإيجابية، فالخير والشر والعدل والظلم مفطورة عليه كل نفس إنسانية منذ بداية الخلق، والناس مجبولون على حب الفضيلة، والنفور من الرذيلة.
* أن الشريعة الطبيعية أقوى على الفرد من الشريعة الإيجابية؛ يعني أنه لا يتم التكليف الأخلاقي إلا بإرادة المكلف؛ أي: إن الواجب الأول هو الإيمان بالواجب؛ أي: أن تبادر الذات بتلقي الأمر بطاعة الأمر الأعلى.

إذًا الدعامة الأولى، للنظرية الأخلاقية القرآنية:

* + الواجب/ الإلزام.

هو قاعدة أساسية والنواة لكل نظام أخلاقي، فبدونها لا مسؤولية، ولا عدالة ولا أمن ولا أمان في المجالين القانوني والأخلاقي، كما أن الأخلاق القرآنية جاءت على أساس الواجب، "وإذا كانت السمة المميزة لنظرية أخلاقية تنبع من المبدأ الذي تطرحه على الإرادة، كهدف لنشاطها، فإننا نرى الآن في أية أسرة يجب أن تَنْظِمَ الأخلاق القرآنية، ففي نظر هذه الأخلاق ليست اللذة، ولا المنفعة، ولا السعادة، ولا الكمال – ليست هذه كلها بقادرة في ذاتها على أن تُنشئ هذا المبدأ، وكل ذلك يجب أن يكون خاضعًا لسلطان الواجب بأقدس معاني الكلمة، وأكثرها واقعية، وأسماها درجة"[[73]](#footnote-73)، هذا الواجب القائم على حرية الاختيار، يعزز هذا المفهوم قوله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: 256]، فلا قهر ولا إجبار، أما بخصوص الواجب الكانطي، فيختلف عن القرآني بالصور الثلاث الآتية:

* أن الواجب هو صوري محض، ليس له بالواقع المتغير، أو بالتجربة.
* أنه منزَّه عن كل غرض، وليس سبيلًا لمنفعة أو سعادة.
* أن الواجب لا يعتبر أساسًا، فهو قاعدة لا مشروطة للفعل.

في حين اعتبر القرآن الكريم أن الواجب ليس صوريًّا، وهو متصل بتغيرات الواقع ومفاعيل التجربة، ثم إنه مقترن إلى جانب التكاليف الأخلاقية بالغايات والمقاصد الكبرى، الهادفة إلى "تحقيق قوة محركة نحو مصالح دنيوية عاجلة، وأخروية آجلة ومتعلقة بالإيمان بالجزاء من الثواب والعقاب، قوة مرتبة وناظمة لوظيفة العقل ودوره في تحقيق الانفعال بالإسلام، والاجتهاد في تنزيل أخلاق القرآن وقِيَمه العظيمة على الواقع، وتقويم سلوك الناس به والارتقاء بهذا الواقع"[[74]](#footnote-74)، ولا يتأتى كل ذلك إلا عبر عنصر النية وإخلاص العمل لله، كونها جوهر وروح الأعمال؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...))[[75]](#footnote-75)؛ الحديث.

* + الجزاء.

عنصر ذو أهمية في الدفع بالإنسان نحو الالتزام بالأخلاق الفاضلة، ضمن عُمُد النظرية الأخلاقية القرآنية، وهو في القرآن على ثلاثة أصناف:

* الجزاء الأخلاقي:

هو شعور نفسي متفاعل إما بالراحة والطمأنينة عند فعل الفضيلة، أو بالنكد بعد فعل غير أخلاقي، لارتباطه بضمير الإنسان؛ فالصلاة والصدقة، والصوم والحج، والكرم والتسامح والمحبة كلها أعمال أخلاقية مبهجة للقلب مريحة للنفس، مجددة للروح والعقل، مسهِمة في صلاح الفرد والمجتمع، وتعاطي المنكرات والمعاصي والظلم... تؤول بمرتكبيها إلى الاغتمام والهم والأرق، والعقل يلعب دورًا مهمًّا إلى جانب القلب، في كسب القيم أو خسارتها.

* الجزاء القانوني/ التشريعي:

هي إجراءات تأديبية عقابية، سواء أكانت حدودًا شرعية ذات أصل رباني، أو تعزيراتٍ من تقدير القضاة، تقتضي كلتاهما تطبيقه والقيام على تفعيلها بعزم وصرامة، في إطار المساواة بين الخلق أمام القانون، ولتحقيق الأمن والسلام الاجتماعي.

* الجزاء الإلهي:

هو ضربان: دنيوي وأخروي؛ "على عكس التوراة التي تجعل السعادة الموعودة في طيبات هذا العالم، ويحصرها الإنجيل تقريبًا في السماء"[[76]](#footnote-76)، والآيات القرآنية كثيرة في هذا الصدد؛ حيث يكون الجزاء قاصرًا وليس شاملًا؛ حيث تضم الوعد ببعض الخير العاجل للمحسنين في الدنيا قبل الآخرة؛ يقول الحق سبحانه:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: 96]، وقد يكون ذلك العاجل فتنة وابتلاء لهم، ومن جهة ثانية الوعيد في العاجلة للمسيئين؛ في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: 33]، في انتظار الجزاء الإلهي الأخروي بنَيل السعادة الروحية الحسية للمحسنين، وبنَيل الشقاء الروحي والحسي، ويرى عبدالله دراز أن منهج التعليم القرآني يبدو في "صورة مركبة، مزدوجة في تركيبها؛ إذ تستهدف الحياة الدنيا والحياة الأخرى معًا، وتعلن للإنسان بأن عليه أن يتقبل في كلتا الحالتين الثمن الأخلاقي والبدني، والروحي لأفعاله"[[77]](#footnote-77)؛ فنرى إذًا شمولية الفكرة القرآنية للجزاء في غايتها ومنهجها في استهداف النفس الإنسانية بكل قواها، ودعوة الناس من كل الطبقات، ومن مختلف درجات العقل.

* + المسؤولية.

مفهوم الإلزام المرتبط بفكرتَي المسؤولية والجزاء، هذا الثلاثي المتكامل والأساسي في بلورة النظرية الأخلاقية القرآنية، "لا تقبل الانفصام، فإذا ما وجدت الأولى تتابعت الأخريان على إثرها، وإذا اختفت، ذهبتا على الفور في أعقابها، فالإلزام بلا مسؤولية يعني القول بوجود إلزام بلا فرد مُلْزَم، وليس بأقل استحالة من ذلك أن نفترض كائنًا ملزَمًا ومسؤولًا، بدون أن تجد هذه الصفات ترجمتها وتحققها في جزاء مناسب، فإن معنى ذلك تعرية الكلمات من معانيها"[[78]](#footnote-78)، فالمسؤولية هي ضرب خاص من الإلزام متولدة عنه، وهي استعداد فطري، بحيث يلزم المرء نفسه أولًا، ثم يفي بما ألزم به نفسه بجهود تختلف من شخص لآخر، وبحسب وفاء شخص لآخر، فالمسؤولية شرط لازم للإلزام والالتزام الأخلاقيين.

وفي القرآن الكريم تجد المسؤولية على ثلاثة أصناف: المسؤولية الدينية، والاجتماعية والأخلاقية المحضة؛ وقد شملتها الآية الكريمة في قوله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: 27]، فكل مسؤولية من تلك الثلاث هي مسؤولية أخلاقية في نهايتها، "فالإنسان هو الذي يجعل نفسه مسؤولًا بتدخل إرادي، لو لم يكن لبقيَ حرًّا أن يفعل أو لا يفعل، والمسؤولية التي يتحملها حينئذٍ أمام الله - كما رأينا - ليست بأقل من المسؤولية التي تقع على كاهله، أن يقوم بالواجبات الجوهرية"[[79]](#footnote-79)، وتقوم هاته النظرية الأخلاقية على مبدأ الحرية في العمل، فلا مسؤولية مع إكراه، ثم أن يكون العمل المسؤول شخصيًّا، وكذا أن يكون المرء على وعي تام، وأن تُبنى تلك المسؤولية على معرفة الشرع والقانون.

* + الجهد.

هو عنصر محوري في بلورة النظرية الأخلاقية القرآنية، وهو مرتبط بالمسؤولية الأخلاقية، المنوطة بالاستطاعة أو القدرة على الفعل أو الترك، فلا مسؤولية عن الفعل مع عدم الاستطاعة، والتي تعتبر شرطًا في ترتيب المسؤولية؛ يقول الحق سبحانه في كتابه العزيز: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286]؛ فالمسؤولية تُقدَّر بقدر المكلَّف وبقدر مقدوره، مع استفراغ الوُسْع، كما أن من فضل الله تعالى على المكلف، أنه متى استحضر النية على الفعل ولم يَنَلِ القدرة على ذلك، يكون جزاؤه كأنه فعله، وهنا تظهر الأخلاقية المطلقة لهذا الدين الحنيف.

لا شك أن كل تلك العناصر في تكاملها ومقاصدها، هي لَبِنات مسهمة في بلورة نظرية أخلاقية قرآنية، مهداة من الخالق عبر كتابه، في خيط ناظم محكم.

1. المبحث الثاني: سؤال النظرية الأخلاقية الإسلامية وأبجديات التأسيس.

غدت مسؤولية أهل الفكر الإسلامي اليوم أكبر، وأخطر، خاصة في التنظير للممارسات الأخلاقية وذلك لاعتبارات:

أحدها: توالي الأزمات العالمية، والتي وصلت في مضرة الإنسان والكون إلى أبعد مدى من التصور، إلى حد عدم نفعية التقويمات المحدودة من أخلاق السطح – بتعبير د. طه عبدالرحمـن – التي لا يكاد المصلحون من تطبيقها حتى تبرز آفات جديدة تشكل أزمات وتحديات مُثبِّطة؛ ولذلك لزم بلورة حلول لأخلاق أعمقَ للحد من آفات العمق.

ثانيها: صفة التبعية للنظام الأخلاقي العالمي التي أُلزِم به العالم الإسلامي - برضاه أو مكرهًا – وحتمية التحولات الأخلاقية للتابع، موازاة مع تحولات النظام الأخلاقي العالمي الجديد في كل مناحي الحياة الفردية والاجتماعية، ومع توالي سلسلة من أنظمة عالمية جديدة اقتصادية وسياسية وعسكرية وغيرها... يكون مجال تصور نظريات أخلاقية تابعة كذلك لا متبوعة.

ثالثها: أن مجددي النظريات الأخلاقية الإسلامية شبه منعدمين - حسب رأي طه عبدالرحمـن – ومن ثَمَّ مضاهاة ما أنتجه المنهج الغربي من فلسفات حديثة هو وارد، "وهذا الغياب المؤسف لن يزيد المسلمين إلا تضَعْضُعًا في مركزهم، لا سيما أنهم لا يملكون - على ما يبدو في الأفق القريب - إلا ما انطوى عليه الإسلام من القيم الأخلاقية والمعاني الروحية لتثبيت وجودهم وقول كلمتهم في الحضارة العالمية المنتظرة"[[80]](#footnote-80).

وبِناء عليه، فهل بالإمكان خلق نظرية أخلاقية إسلامية مسهمة في صد التحولات الآنية والآتية، وفي إصلاح مستقبل الإنسان؟

1. المطلب الأول: مسلَّمتا النظرية الأخلاقية الإسلامية.

حدد طه عبدالرحمـن في كتابه "سؤال الأخلاق" بعض المسلَّمات التي لا بد للمُنَظِّر أن يبسطها لاستكمال بنائه لنظرية ما، ولإغناء المجال المتناول في التحليل... وهما؛ الصفة الأخلاقية للإنسان، والصفة الدينية للأخلاق.

1. الصفة الأخلاقية للإنسان:

حقيقة مسلَّم بها في الأخلاق الإسلامية، أنه لا إنسان بدون أخلاق، فإنسانية الإنسان منوطة بمستوى تشبعه بالأخلاق الفاضلة والقيم العليا، فهُوِيَّة الإنسان ذات طبيعة أخلاقية وليس على رتبة واحدة، بل هي متعددة المراتب حسب قدر الإنسانية في المرء، كما أن هذه الهوية متغيرة حسب أطوار حياة هذا الإنسان وتغيرات ظروفه واحتكاكه بالواقع ونشاطه، وتلك مسلَّمة أولى من مسلمات النظرية الأخلاقية الإسلامية.

1. الصفة الدينية للأخلاق:

أما بخصوص العنصر الثاني للأخلاق الإسلامية فهو حقيقة أن لا أخلاق بغير دين، وهو ما لا يعتبره الفكر العلماني العقلاني المجرد، ولا الناسوتي المقر فقط بقيمة الإنسان وإلغاء الألوهية، ولا الطبيعاني المنكر للغيب ولا شيء يقر به إلا من خلال الطبيعة، ولا المادي المنكر للروح، ولا حتى التاريخاني المنكر للمطلق، المؤمن بالتغير التاريخي للظواهر الإنسانية، كل أولئك لا اعتبار لهم بهذه المسلمة، ويمكن التأسيس للأخلاق الدينية من مدخلين:

الأول: بسبيل مباشر؛ حيث يتاح تلقي خبر الأخلاق "من الوحي الإلهي، والتأسي فيها بالرسول الذي جاء بالوحي"[[81]](#footnote-81).

الثاني: بسبيل غير مباشر؛ وهو تورية اقتباس الأخلاق من الدين، "كما يقوم في اللجوء إلى القياس على الأخلاق الدينية فيما يُستنبط من أخلاق وضعية"[[82]](#footnote-82)؛ مما يسهل على المخالف الأخذ بهذا السبيل في بعض ما يتقرر لديه من أخلاق.

يخلص د. طه عبدالرحمـن إلى حقيقة أنه بهاتين المقدمتين، ينتج عنهما أنه لا إنسان بغير دين، كما في قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: 44]، وحقيقة الإنسان أنه كائن حي متدين، "فالهوية الإنسانية تكون في حقيقتها هوية دينية؛ فإذا قيل بأننا قد نجد بين الناس من لا يتدين أصلًا، فإننا نقول بأن هذا القول يحتاج إلى توضيح؛ ذلك أنه لا يقر بتدين دين سماوي إلهي... لكن هذا لا ينفي أخذه من هذا الدين بطريق غير مباشر، محرفًا أو مستترًا عليه، أو متبعًا فيه طريق القياس، مستبدلًا الإله بغيره فيما يعتقده"[[83]](#footnote-83)؛ إذ إن أصل الدين هو الإيمان بالمطلق.

1. المطلب الثاني: موانع معرفية لوجود فلسفة أخلاقية إسلامية متميزة.

هناك فروق ثلاثة بمثابة مسلمات أساسية في النظريات الأخلاقية غير الإسلامية تداولها وأخذ بها المسلمون أنفسهم، سعى د.طه عبدالرحمـن إلى إبطالها، باعتبارها موانع معرفية لوجود فلسفة أخلاقية إسلامية جديرة بالتبني:

1. مانع الفرق بين العقل والشرع.

ظل الجدل قائمًا بين علماء المسلمين ومفكريهم حول موضوع الفرق بين العقل والشرع، وحول حقيقة تكملة بعضهما، أو تبعية أحدهما للآخر، حتى إن هذا التجاذب في النظر أخذ من المسلمين فرصة استغلال التراكمات العلمية التي عرفتها الحضارة الإسلامية منذ الرعيل الأول، في الإبداع والأمجاد والفتوحات والعلوم والفلسفة، وما كان من الرسوخ في المكانة العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية المزدهرة إلى حدود الحقبة الأندلسية، فكان هذا الجدل الهواء عاملًا أساسيًّا في مآل حال المسلمين اليوم.

وهذا الفرق بين العقل والشرع مردود من وجوه:

الأول: أن هذا الفصل لم يتم إلا بعد التأثر بالمنتوج الفلسفي اليوناني، خاصة بعد ترجمة المتون الفلسفية اليونانية، ومن ثَمَّ محاولة الفلاسفة المسلمين التوفيق بين الحكمة اليونانية وبين الشريعة الإسلامية، على اعتبار أن ذاك النتاج عقلي محض، وعلى اعتبار ما جاء به الشرع ليس عقليًّا ألبتة، هذا من وجه؛ ومن وجه آخر، سلك علماء ومفكرو الإسلام مسلك اليونان في التفريق بين اللوغوس والميتوس[[84]](#footnote-84)، وقاسوا على ذلك في الفصل بين العقل والشرع.

الثاني: أنهم حين يضعون هذه التفرقة لا يظهرون وجه المقابلة بين العنصرين، وهنا يبين د.طه عبدالرحمـن، بعض حالات المقابلة، ويردها لبطلانها، وهذه الحالات هي كالآتي:

من حيث المصدر؛ أي: إن مصدر العقل هو الإنسان، ومصدر الشرع هو الإله، وهذا مردود كون العقل مصدره من الإله، ومن جهة أخرى، القول بأن العقل يمارسه الإنسان من داخله وبإرادته على عكس الشرع الذي يتلقاه من خارجه وبإرادة غيره، يرد طه، بقوله: "فلِمَ لا يجوز أن يكون العقل شرعًا يتلقاه الإنسان من الداخل، وأن يكون الشرع عقلًا يتلقاه الإنسان من الخارج"[[85]](#footnote-85).

من حيث المضمون الدلالي؛ أي: إن مضمون العقل هو إنساني في حين أن مضمون الشرع مضمون إلهي صِرف، وهذا مردود من وجوه: "أن الإنسان يفهم المضمون الشرعي فهمه للمضمون العقلي، فهو المكلف بهما معًا بدون معارض"[[86]](#footnote-86)، أما بخصوص القول بأن العقل لا يمكنه إدراك حقائق الشرع، فيرد د.طه، بأن العقول "البشرية جمعاء متقلبة في أطوار بعضها أكمل من بعض، من غير نهاية؛ حيث يدرك هذا العقل في كل طور مزيدًا من الحقائق حتى إذا بلغ أعلى الدرجات من الكمال، أمكنه إذ ذاك إدراك ما يبدو لنا الآن أنه لا يطيق إدراكه"[[87]](#footnote-87).

من حيث الكيفية البيانية؛ أي: إن كيفية العقل في بيان أغراضه كيفية إنسانية صرفة، بينما كيفية الشرع في بيان أحكامه كيفية إلهية صرفة، وهذا كذلك مردود؛ لأن الإنسان مخاطَب بهما معًا، ولا فرق في الكيفيتين لديه في بيان أغراض العقل وأغراض الشرع، ومع افتراض القول بأن الاختلاف هو في وسائل التبيين والتعبير، يرد د.طه عبدالرحمـن، بأنه من الجائز أن تكون وسائل العقل - في الأصل - وسائل شرعية، لكن دخلت عليها الصناعة العلمية، وأن تكون وسائل الشرع هي - على الحقيقة - وسائل عقلية جاءت وفق الفطرة الطبيعية"[[88]](#footnote-88).

نتيجة ما كان من شدٍّ وردٍّ في قضية افتراض وجود فرق بين العقل والشرع؛ "أن العقل ليس واحدًا، وأنه كلما كان العقل أقرب إلى الفطرة، كانت إدراكاته وتصرفاته أكثر موافَقة للشرع"[[89]](#footnote-89)، فبفقدان الإنسان لفطرية العقل، يكون بذلك قد نسيَ الميثاق الذي أُخذ منه حين وجوده...[[90]](#footnote-90)؛ فلا تمييز بين العقل والشرع بوجوه التفريق الثلاثة.

1. مانع الفرق بين العقل والقلب.

من نتائج التأثر بالفلسفة اليونانية بين فلاسفة المسلمين: قضية تغليب حديث العقل ذي الوظيفة المعرفية، على حديث القلب ذي الوظيفة الوجدانية؛ مما أدى إلى تغييب معنى القلب بالمرة بين فلاسفة الإسلام، وبقي معنى القلب محصورًا لدى علماء المسلمين والفقهاء والنُّظَّار في حيز الاعتقاد والنية والقصد، ومن هنا كان هذا الفصل بين العقل والقلب مردودًا من وجوه:

الأول: أن هذا الفصل أدى إلى تَشْيِيئِ العقل؛ أي: إقامة العقل مقام شيء مخصوص قائم في داخل جسم الإنسان، وهو غير مقبول، وهذه الذاتية التي أُلبست للعقل أو التشييئ لمفهوم العقل عطَّلت جانبًا كبيرًا من انفتاح الفكر الإسلامي على آفاق الممارسة العقلية، إلى أن خلصوا إلى أن "العقل ليس جوهرًا قائمًا بذاته بل هو فعالية إدراكية صريحة، وأن فعاليته ليست قاصرة فيما هو عقلي فقط، بل هي متعدية إلى الإدراكية منها والحسية، وهو على درجات متعددة، ولا هو على نمط واحد في تقلباته وتكيفاته، وأيضًا حقيقة أن حدود العقل هي ليست ميتافيزيقية مظنونة، بل هي حدود موضوعية ثابتة بالبرهان العلمي..."[[91]](#footnote-91).

الثاني: أن ما أصاب الممارسات الدينية من غلوٍّ، ومن تهميش القيم الخلقية التي هي أصل الحكم الفقهي، وأصل الدين كله، ولا ينضبط الحكم الشرعي إلا بها، والمكلف مطالب بتحصيلها، كل ذلك الإهمال "أدى إلى قصر الأخلاق على جانب يسير من أفعال المكلفين"[[92]](#footnote-92)، وهذا مجانب للصواب، فكل فعل إنساني عقلي هو سبب من أسباب تخلُّقه، إذا تحققت إنسانيته الحية بالتخلق، و"أدى أيضًا إلى اعتبار الأخلاق من المقاصد الكمالية"[[93]](#footnote-93)، وهذا كذلك بعيد عن الحقيقة، فالدين الإسلامي جاء بالقيم الأخلاقية في كلياته، على اعتباره "الطَّور الخاتم لأطوار التشريع الإلهي... فالعقل فعل قلبي صريح، وكل فعل قلبي هو فعل خُلُقي تتحدد به إنسانية صاحبه، ولا عِبرة بحكم على الفعل لا يراعي حصول الثمرة الخلقية"[[94]](#footnote-94).

1. مانع الفرق بين العقل والحس.

على غرار الفصل بين العقل والحس في المنهج الفلسفي اليوناني، سرت المعرفة الإسلامية في التفريق بين عالم المعقول وعالم المحسوس، وبتقديم الأول عن الآخر، وقِيس على هذا الباطل تفرقات أخرى؛ نحو الفصل بين النفس والبدن، والتفرقة بين العالم العلوي والعالم السفلي، وبين الروح والجسم، وفيما يلي نقد هذا المنهج من جهتين:

أولاهما: أن الوحي حث على ربط العقل بالحس إلى درجة تعقل الحس؛ يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: 190]، والآيات الدالة على الجمع بين العنصرين وفيرة، فننظر بالتعقل ونسمع بالتعقل، وننطق بالتعقل، فلا حِسَّ دون تعقل، فلما كانت أفعال الإدراك الحسي صادرة عن القلب، "فقد وجب أن يكون الفعل المميز للقلب – وهو العقل - مجانسًا بوجه من الوجوه لهذه الأفعال الإدراكية جميعها"[[95]](#footnote-95)؛ فالعقل هو من جنس الحس.

ثانيهما: أن اعتبار هذا الفرق بين العقل والحس أَلَّهَ العقل، أو الوثنية العقلية - بتعبير د.طه عبدالرحمـن - الذي يرى أن قضية تقديس العقل أثرت في علماء المسلمين، مثلًا في قاعدة "العقل مناط التكليف"، باعتبار التمييز بين الإنسان والحيوان، معتبرًا أنه ليس مقطوعًا بعدم تعقل الحيوان، في إشارة منه بأن النملة في عهد سليمان عليه السلام حذرت قومها من الهلاك، والهدهد الذي دافع عن غيابه بالحجة، ومن ثَمَّ يخلص د.طه عبدالرحمـن إلى أن إنسانية الإنسان كافية بحصول التكليف، "فالفعل الحسي كالفعل العقلي يصدر عن القلب؛ فهو مثله يحمل أسبابًا عقلية كما أن الفعل العقلي - على العكس من ذلك - يحمل أسبابًا حسية؛ ولا مسوغ للمفاضلة في الطبيعة بين الفعلين"[[96]](#footnote-96).

1. خاتمة.

إن إنسانية الإنسان ترتبط وجودًا وعدمًا بتخلقه الذي من أجله خُلق، وبه يبلغ ثمرة الشعور بالسعادة، "فالسعادة هي المقصد الأسنى الذي يبتغيه كل إنسان، كما أنها الغرض الأقصى الذي تتوجه إليه كل نظرية أخلاقية"[[97]](#footnote-97)، فهل يمكن للإسلام أن يقدم القيم والأخلاق للغرب على المستوى المعرفي؟ هل تمت في الفكر الإسلامي بلورة نظرية أخلاقية؟

للأسف؛ واقعنا لا يبشر بذلك، خاصة مع البعد والهُوَّة الواقعة يبن ما جاء به الإسلام في كتابه المنهج، والحال الذي آلت إليه الأخلاق الإسلامية، إثر التأثر بالفكر الغربي والنظريات والأخلاقيات الدخيلة على المجتمعات الإسلامية، وعدم تمكن الأمة من الفصل بين أخذ كل ما هو نافع وإيجابي من الثورة العلمية والاقتصادية والعلمية والإعلامية، دون الانسلاخ عن جِلد الإسلام وقِيَمه وأخلاقياته، التي هي أساس خيرية هذا الدين، والذي كان من المفروض أن تُصدَّر المعرفة الإسلامية عبر تلك الأخلاق القيمية إلى العالمين، وليس جلب المناهج الغربية بكلياتها وفرض تطبيقها على المجتمعات الإسلامية.

حقًّا إن الشح الأخلاقي اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية لا يكاد يُحجب عن العيان، فما تفكُّكُ أسرها، وسيادة النفعية في علاقاتها، وفتور الإنسانية في شوارعها، وغياب الحياء والقيم في أغلب مستويات شبابها، وتفشي الأنانية وعدم المسؤولية والعبثية، وخيانة الأمانات في أغلب رموز حكامها... وغيره كثير، إلا دليل على العدول عن المنهج المرسوم لنا، عن البيان والهدى والنور المبين...

إن الحل الناجع الذي جاءت به الشريعة الإسلامية، "يقوم على التصدي لهذا الموقف، وتناوله بطريقة خاصة، حتى يتاح للإنسان أن يرتقي مرة أخرى، في المنحدر الذي هبط منه، شيئًا فشيئًا... إلى أن يتقبل النظام الأخلاقي..."[[98]](#footnote-98)، ليصل إلى العمل الأخلاقي ولا يكتفي بالمفهوم الأخلاقي، تحت رقابة الضمير الجامع بين شرطين؛ الأول: أن يكون مستنيرًا بفضل التعليم الإيجابي، ذي الواجبات المرتبة، والثاني: أن يكون قادرًا على مواجهة الواقع الحي، وناظرًا إلى المآل، وذلكم هو ضمير المؤمن، الحاضر في ذاته، المهيَّأ للتناصح، المنضبط بشرع الله...

إن تكاملية الأخلاق القرآنية، وكونيتها وشموليتها واستيعابها كافية كقاعدة لتنظيم النشاط الأخلاقي الإنساني، في الحال والمآل، وهي "مرتبطة أساسًا بأصول العقيدة، بل هي الثمرة الحقيقية لدلالة الإيمان واستقراره في القلب بما هو نية تنعقد، وكلمات تنطق بها الألسنة، وأفعال تظهرها الجوارح ويدل عليها السلوك..."[[99]](#footnote-99).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المحتويات

* مقدمة........................................................................................................3
* الفصل الأول: النظرية الأخلاق بين الدين والفلسفة......................................................6
* المبحث الأول: مفهوم علم الأخلاق والقيم...................................................................7
* المطلب الأول: دراسة إفهامية..................................................................................7
  + الأخلاق: لغة، اصطلاحًا، فلسفيًّا......................................................................7
  + القيم: لغة، اصطلاحًا، فلسفيًّا.........................................................................10
* المطلب الثاني: موضوع علم الأخلاق، فائدته، مهمته، مناهجه، أقسامه؛ 'العملية والنظرية'.......11
* مناهج علم الأخلاق؛ التجريبي، العقلي..............................................................14
* معايير العمل الأخلاقي من الرؤية القرآنية...........................................................15
* المبحث الثاني: فلسفة القيم؛ النشأة والتطور..................................................................16
* المطلب الأول: مراحل تطور فلسفة القيم......................................................................16
* دلالة القيمة ومغزاها......................................................................................18
* طبيعة وتصنيف القيم...................................................................................19
* المطلب الثاني: خصائص القيم الخلقية...........................................................................20
* درجات القيم والخير الأقصى...........................................................................21
* خصائص الخير الأقصى.................................................................................21
* الفصل الثاني: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية........................................................22
* المبحث الأول: القيم والأخلاق قبيل الحضارة الإسلامية....................................................23
* المطلب الأول: الأخلاق في العصر الجاهلي...................................................................23
* الفضيلة، VERTU....................................................................................23
* العفة.......................................................................................................24
* المطلب الثاني: الأخلاق في العصر الإسلامي.................................................................25
* ميادين الفلسفة في الأمة الإسلامية..................................................................27
* عمد النظرية الأخلاقية المعرفية القرآنية...............................................................27
* المبحث الثاني: سؤال النظرية الأخلاقية الإسلامية وأبجديات التأسيس.................................32
* المطلب الأول: مسلمتا النظرية الأخلاقية الإسلامية........................................................32
* الصفة الأخلاقية للإنسان..............................................................................33
* الصفة الدينية للأخلاق.................................................................................33
* المطلب الثاني: موانع معرفية لوجود فلسفة أخلاقية إسلامية متميزة.......................................34
* مانع الفرق بين العقل والشرع....................................................................34
* مانع الفرق بين العقل والقلب....................................................................35
* مانع الفرق بين العقل والحس....................................................................36
* الخاتمة:................................................................................................................37
* فهرس المحتويات....................................................................................................39
* فهرس المصادر والمراجع...........................................................................................41

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إحياء علوم الدين/ لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي؛ 450 - 505ه/ العلامة العراقي/ دار ابن حزم/ ط: 1، 1426ه – 2005م.

الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام/ مصطفى حلمي/ دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان/ ط: 1/ 1424ه – 2004م.

الأخلاق والقيم في الدين والفقه الإسلامي من منظور فلسفة الأخلاق/ عبدالله السيد ولد باه/ مجلة التفاهم/ العدد: 37/ صيف، 2012م – 1433ه/ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية/ سلطنة عمان.

البيهقي/ (10/ 191، رقم 20571)/ والبزار في المسند ( 476/ 2، 8949)، والقضاعي في مسند الشهاب ( 192/ 2، 1165).

تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط/ يوسف كرم/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة/ مصر.

تجديد الفكر الديني في الإسلام/ محمد إقبال/ ت: يوسف عدس/ دار الكتاب المصري - القاهرة/ دار الكتاب اللبناني - بيروت/ ط: 2011.

تهذيب الأخلاق في التربية/ لابن مسكويه/ دار الكتب العلمية/ بيروت – لبنان/ ط: 1، 1985م – 1405ه.

دستور الأخلاق في القرآن/ د. محمد عبدالله دراز/ ت: عبدالصبور شاهين/ الرسالة: بيروت، 1973م.

سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية/ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب/ ط: 1 – 2000م.

1. سؤال العمل، بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم/ د.طه عبدالرحمـن/ علي مولا/ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ ط: 1، 2012.

سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد/ د.طه عبدالرحمـن/ ت: رضوان مرحوم/ إبداع، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان – بيروت/ ط: 2، 2015.

صحيح البخاري/ لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري/ كتاب بدء الوحي/ باب:كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/ رقم الحديث: 1/ ج: 1/ من عناية: سامح دياب أحمد/ فضاء الفن والثقافة – المغرب.

صحيح الجامع/ الألباني/ عن أبي هريرة/ رقم: 2833 – أخرجه أحمد (8939/ والباري في الأدب المفرد (273)/ والبزار في المسند (8949).

صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة والآداب/ باب تراحم المؤمنين وتعاضدهم/ رقم: 4812.

عقيدة المسلم/ محمد الغزالي/ المكتبة الفيصلية.

العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية/ د. محمد الناصري/ دار الهادي/ ط: 1/ 2009 م - 1430ه.

العمدة في فلسفة القيم/ للدكتور عادل العوا، أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق/ طلاسدار/ ط: 1، 1986م.

فقه الثوابت والمتغيرات، مساهمة في مواجهة الفكر المتطرف/ د. عبدالعالي العباسي/ ط: 1، 2015/ مكتبة قرطبة حي السلام.

فلسفة القيمة/ جميل قاسم/ الاستغراب، صيف 2016.

كتاب الأخلاق/ أحمد أمين/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة/ مصر.

الكليات/ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي/ ت: عدنان درويش، محمد المصري/ مؤسسة الرسالة/ ط: 2، 1998م – 1419ه.

لسان العرب/ لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري/ م: 12/ دار صادر، بيروت.

مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي/ د. عبدالرحمـن العضراوي/ مركز نماء للبحوث والدراسات/ ط: 1/ بيروت، 2015م.

معجم مقاييس اللغة/ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا/ ت: عبدالسلام محمد هارون/ ج: 2/ دار الفكر.

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار/ للحافظ أبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي/تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود/ ج: 1/ مكتبة دار طبرية/ ط: 1/ 1415ه – 1995.

مقدمة ابن خلدون/ عبدالرحمـن بن محمد بن خلدون/ (732 – 808)/ تحقيق: عبدالله محمد الدرويش/ ج: 2/ ط: 1 – 1425ه - 2004م/ دار يعرب.

مقدمة في علم الأخلاق/ د. محمود حمدي زقزوق/ دار القلم – الكويت/ ط: 3، 1983م – 1403ه.

الموافقات/ لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، المتوفى سنة: 790ه/ ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ المجلد: 2/ دار ابن عفان – م.ع. السعودية/ ط: 1 – 1997م – 1417ه.

موسوعة لالاند الفلسفية/ أندريه لالاند/ م: 1/ منشورات عويدات/ بيروت – باريس.

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين/ للشيخ محمد الخضري بك/ ت: محي الدين الجراح/ دار الفيحاء – دمشق – ط: 2 – 2004ه – 1425م.

1. - تهذيب الأخلاق في التربية/ لابن مسكويه/ دار الكتب العلمية/ بيروت – لبنان/ ط: 1، 1985م – 1405ه/ ص: 13. [↑](#footnote-ref-1)
2. - دستور الأخلاق في القرآن/ د. محمد عبد الله دراز/ ت: عبد الصبور شاهين/ الرسالة: بيروت، 1973م/ ص: 12. [↑](#footnote-ref-2)
3. - سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية/ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب/ ط: 1 – 2000م / ص: 120. [↑](#footnote-ref-3)
4. - تخريج إحياء علوم الدين المسمى بالمغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار/ للحافظ أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي/تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود/ ج: 1/ مكتبة دار طبرية/ ط: 1/1415ه – 1995/ ، حديث رقم: 2670، 3/48/ أحمد والحاكم وابن ماجة من حديث أبي هريرة / المغني / كتاب: رياضة النفس/ص: 733. [↑](#footnote-ref-4)
5. - الموافقات / لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، المتوفى سنة: 790ه/ ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ المجلد: 2/ دار ابن عفان – م.ع. السعودية/ ط: 1 – 1997م – 1417ه/ ص: 124. [↑](#footnote-ref-5)
6. - دستور الاخلاق في القرآن/ ص: 14. [↑](#footnote-ref-6)
7. - [ سورة الإسراء/ الآية: 9] [↑](#footnote-ref-7)
8. - مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي/ د. عبد الرحمـن العضراوي/ مركز نماء للبحوث والدراسات/ ط: 1/ بيروت، 2015م/ ص: 103. [↑](#footnote-ref-8)
9. - عقيدة المسلم/ محمد الغزالي/ المكتبة الفيصلية/ ص: 128. [↑](#footnote-ref-9)
10. - مقدمة في علم الأخلاق/ د. محمود حمدي زقزوق/ دار القلم – الكويت/ ط: 3، 1983م – 1403ه/ ص: 13. [↑](#footnote-ref-10)
11. - سؤال الأخلاق/ ص: 25. [↑](#footnote-ref-11)
12. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 16. [↑](#footnote-ref-12)
13. - معجم مقاييس اللغة/ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا/ ت: عبد السلام محمد هارون/ ج: 2/ دار الفكر/ ص: 214 – 215. [↑](#footnote-ref-13)
14. - الكليات / معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي/ ت: عدنان درويش، محمد المصري/ مؤسسة الرسالة/ ط: 2، 1998م – 1419ه/ ص: 329. [↑](#footnote-ref-14)
15. - الموافقات / مصدر سابق. [↑](#footnote-ref-15)
16. - إحياء علوم الدين/ أبي حامد محمد بن محمد الغزالي؛ 450 -505ه/ العلامة العراقي/ دار ابن حزم/ ط: 1، 1426ه – 2005م/ ص: 934 – 935. [↑](#footnote-ref-16)
17. - مقدمة ابن خلدون/ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون/ (732 – 808)/ تحقيق: عبد الله محمد الدرويش/ ج: 2/ ط: 1 – 1425ه- 2004م/ دار يعرب/ ص: 50. [↑](#footnote-ref-17)
18. - سؤال الأخلاق/ ص: 14، 15. [↑](#footnote-ref-18)
19. - سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد/ د. طه عيد الرحمـن/ ت: رضوان مرحوم/ إبداع، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان – بيروت/ ط: 2، 2015/ ص: 72. [↑](#footnote-ref-19)
20. - مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي/ ص: 114. [↑](#footnote-ref-20)
21. - الأخلاق والقيم في الدين والفقه الإسلامي من منظور فلسفة الأخلاق/ عبد الله السيد ولد باه/ مجلة التفاهم/ العدد: 37/ صيف، 2012م – 1433ه/ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية/ سلطنة عمان/ ص: 353. [↑](#footnote-ref-21)
22. - تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط/ يوسف كرم/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة/ مصر/ ص: 46. [↑](#footnote-ref-22)
23. - المصدر نفسه/ ص: 160. [↑](#footnote-ref-23)
24. - لسان العرب/ لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري/ م: 12/ دار صادر، بيروت/ ص: 502. [↑](#footnote-ref-24)
25. - فلسفة القيمة/ جميل قاسم/ الاستغراب صيف 2016/ ص: 345. [↑](#footnote-ref-25)
26. - العمدة في فلسفة القيم/ للدكتور عادل العوا، أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق/ طلاسدار/ ط: 1، 1986م/ ص: 42. [↑](#footnote-ref-26)
27. - فلسفة القيمة/ ص: 345. [↑](#footnote-ref-27)
28. - العمدة في فلسفة القيم/ ص: 42. [↑](#footnote-ref-28)
29. - العمدة في فلسفة القيم/ ص: 44 [↑](#footnote-ref-29)
30. - فلسفة القيمة/ ص: 346. [↑](#footnote-ref-30)
31. - العمدة في فلسفة القيم/ ص:44،/ نقلا عن لولي لافيل/ المطول في القيم/ ج :1ص:158. [↑](#footnote-ref-31)
32. - مقدمة في علم الأخلاق/ ص: 20. [↑](#footnote-ref-32)
33. - أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ" يا معاذ حسن خلقك للناس" منقطع ورجاله ثقات. تخريج أحاديث الإحياء/ المغني عن حمل الأسفار في الأسفارفي تخريج ما في الإحياء من الأخبار/ للحافظ العراقي، رقم الحديث: 2713/ 3/54 / كتاب رياضة النفس/ص: 740. [↑](#footnote-ref-33)
34. - مقدمة في علم الأخلاق/ نقلا عن تأملات في فلسفة الأخلاق لمنصور رجب ، ص: 36 وما بعدها/ ص: 21. [↑](#footnote-ref-34)
35. - مقدمة في علم الأخلاق/ ص: 21. [↑](#footnote-ref-35)
36. - مقدمة في علم الأخلاق/ ص: 25. [↑](#footnote-ref-36)
37. - المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-37)
38. - العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية/ د. محمد الناصري/ دار الهادي/ ط: 1/ 2009 م - 1430ه/ ص: 163. [↑](#footnote-ref-38)
39. - العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية/ ص: 164، بتصرف. [↑](#footnote-ref-39)
40. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 680. [↑](#footnote-ref-40)
41. - العمدة في فلسفة القيم/ ص: 55 – 56/ بتصرف. [↑](#footnote-ref-41)
42. - فلسفة القيمة/ ص: 348. [↑](#footnote-ref-42)
43. - فلسفة القيمة/ ص: 349، بتصرف. [↑](#footnote-ref-43)
44. - العمدة في فلسفة القيم/ ص: 74 – 75. [↑](#footnote-ref-44)
45. - الديالكتيك في الفلسفة الكلاسيكية: هو الجدل أو المحاورة؛ وهو تبادل الحجج والجدال بين طرفين دفاعًا عن وجهة نظر ما، بطريق المنطق ... وهي متعددة حسب نظريات الفلاسفة والمناهج. [↑](#footnote-ref-45)
46. - فلسفة القيمة/ ص: 349 – 350 – 351 – 352. بتصرف. [↑](#footnote-ref-46)
47. - فلسفة القيمة/ 352. بتصرف. [↑](#footnote-ref-47)
48. - المصدر نفسه/ ص: 353. بتصرف. [↑](#footnote-ref-48)
49. - المصدر نفسه بتصرف. [↑](#footnote-ref-49)
50. - مقدمة في علم الأخلاق/ ص: 140. [↑](#footnote-ref-50)
51. - مقدمة في علم الأخلاق، نقلًا عن مدخل إلى الفكر الإسلامي/ ص: 141. بتصرف. [↑](#footnote-ref-51)
52. - الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام/ مصطفى حلمي/ دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان/ ط: 1/ 1424ه – 2004م/ ص: 103. [↑](#footnote-ref-52)
53. - تجديد الفكر الديني في الإسلام/ محمد إقبال/ ت: يوسف عدس/ دار الكتاب المصري - القاهرة/ دار الكتاب اللبناني - بيروت/ ط: 2011/ ص: 29. [↑](#footnote-ref-53)
54. - مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي/ ص: 114. [↑](#footnote-ref-54)
55. - مقدمة في علم الأخلاق/ص: 143. [↑](#footnote-ref-55)
56. - موسوعة لالاند الفلسفية/ أندريه لالاند/ م: 1/ منشورات عويدات/ بيروت – باريس/ ص: 1576. [↑](#footnote-ref-56)
57. - العمدة في فلسفة القيم/ ص: 512 - 513. [↑](#footnote-ref-57)
58. - العمدة في فلسفة القيم/ ص: 513 – 514. [↑](#footnote-ref-58)
59. - كتاب الأخلاق/ أحمد أمين/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة/ مصر/ ص: 101. [↑](#footnote-ref-59)
60. - مقدمة ابن خلدون/ ج: 1/ ص: 363. [↑](#footnote-ref-60)
61. - تهذيب الأخلاق/ لابن مسكويه/ ص: 23. [↑](#footnote-ref-61)
62. - مقدمة في علم الأخلاق/ ص: 156. [↑](#footnote-ref-62)
63. - مقدمة في علم الأخلاق. [↑](#footnote-ref-63)
64. - كتاب الأخلاق/ ص: 104. [↑](#footnote-ref-64)
65. - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين/ للشيخ محمد الخضري بك/ ت: محي الدين الجراح/ دار الفيحاء – دمشق – ط: 2 – 2004ه – 1425م/ ص: 252. [↑](#footnote-ref-65)
66. - أخرجه البيهقي/ (10/191، رقم 20571)/ والبزار في المسند ( 476/ 2، 8949)، والقضاعي في مسند الشهاب (192/ 2، 1165). [↑](#footnote-ref-66)
67. - نور اليقين/ ص: 253. [↑](#footnote-ref-67)
68. - صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة والآداب/ باب تراحم المؤمنين وتعاضدهم/ رقم: 4812. [↑](#footnote-ref-68)
69. - الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام/ ص: 103 – 104. [↑](#footnote-ref-69)
70. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 675. [↑](#footnote-ref-70)
71. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 676. [↑](#footnote-ref-71)
72. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 678. [↑](#footnote-ref-72)
73. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 681. [↑](#footnote-ref-73)
74. - مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي/ ص: 114. [↑](#footnote-ref-74)
75. - صحيح البخاري/ لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري/ كتاب بدء الوحي/ باب :كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/ رقم الحديث: 1/ ج: 1/ من عناية : سامح دياب أحمد/ فضاء الفن والثقافة – المغرب/ ص: 9. [↑](#footnote-ref-75)
76. - العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية/ ص: 178. [↑](#footnote-ref-76)
77. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 409. [↑](#footnote-ref-77)
78. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 136. [↑](#footnote-ref-78)
79. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 143. [↑](#footnote-ref-79)
80. - سؤال الأخلاق/ طه عبدالرحمـن/ ص: 146. [↑](#footnote-ref-80)
81. - سؤال الاخلاق/ ص: 148. [↑](#footnote-ref-81)
82. - المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-82)
83. - المصدر السابق بتصرف/ ص: 149. [↑](#footnote-ref-83)
84. - اللوغوس: القول العقلي الاستدلالي الذي يضعه الفيلسوف موَجَّهًا للخاصة، الميتوس: القول القصصي الخيالي الذي هو من وضع الشاعر موجهًا للعامة؛ مقتبس من كتاب سؤال الأخلاق/ ص: 150.

    [↑](#footnote-ref-84)
85. - سؤال الأخلاق/ ص: 150 – 151. [↑](#footnote-ref-85)
86. - المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-86)
87. - المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-87)
88. - سؤال العمل، بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم/ د.طه عبدالرحمـن/ علي مولا/ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ ط: 1، 2012/ ص: 92. [↑](#footnote-ref-88)
89. - سؤال العمل/ ص: 92. [↑](#footnote-ref-89)
90. - للمزيد من التفصيل، انظر كتاب سؤال العمل/ ص: 92. [↑](#footnote-ref-90)
91. - سؤال الأخلاق/ ص: 152 – 153/ بتصرف. [↑](#footnote-ref-91)
92. - سؤال الأخلاق/ 153. [↑](#footnote-ref-92)
93. - سؤال الأخلاق. [↑](#footnote-ref-93)
94. - سؤال الأخلاق/ ص: 154. [↑](#footnote-ref-94)
95. - سؤال الأخلاق/ ص: 155. [↑](#footnote-ref-95)
96. - المصدر نفسه/ ص: [↑](#footnote-ref-96)
97. - سؤال الأخلاق/ ص: 88. [↑](#footnote-ref-97)
98. - دستور الأخلاق في القرآن/ ص: 82/ بتصرف. [↑](#footnote-ref-98)
99. - فقه الثوابت والمتغيرات، مساهمة في مواجهة الفكر المتطرف/ د. عبدالعالي العباسي/ ط: 1، 2015/ مكتبة قرطبة حي السلام/ ص: 67. [↑](#footnote-ref-99)